سلسلة من خطب المسجد النبوي ٥



الأخلاق

من خطب المسجد النبوي

تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف


الأخلاق
من خطب المسجد النبوي

ⓗ عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

الأخلاق من خطب المسجد النبوي. / عبد المحسن بن محمد القاسم - ط١. . - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ص ١١٤، ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٩-٦١٦-٠٥-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١ـ الخطب الدينية ٢- الأخلاق الإسلامية ٣- المسجد النبوي أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٤٣/٧٠١١

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٧٠١١

ردمك: ٩-٦١٦-٠٥-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ ــ ٢٠٢٢م



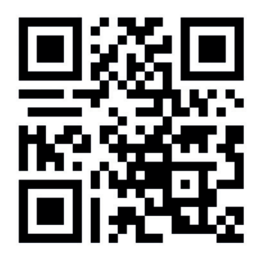
تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يمكن تحميل هذه الخطب أو الاستماع لها على الرَّابط:

a-alqasim.com/khotab/



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمَة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ نَوَّعَ لَهُمْ أَعْمَالاً لِيَنَالُوا بِهَا أَعَالِيَ الجِنَانِ، وَمِنْ تِلْكَ العِبَادَاتِ:

مَا كَانَ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ؛ مِنَ التَّأَلُّهِ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ، وَإِثْبَاتِ الكَمَالِ لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ بِإِثْبَاتِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَمِنْهَا: مَا بَيْنَ العَبْدِ وَالخَلْقِ، وَيَجْمَعُهَا: حُسْنُ الخُلُقِ؛ بِبَذْلِ المَعْرُوفِ، وَكَفِّ الأَذَى، وَطَلَاقَةِ الوَجْهِ.

وَلِإِظْهَارِ جَانِبِ عِبَادَةِ الأَخْلَاقِ؛ أَلْقَيْتُ خُطَباً عَنْهَا فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، ثُمَّ أَفْرَدْتُهَا وَرَتَّبْتُهَا فِي هَذَا الكِتَابِ، فَبَلَغَتْ ثَلَاث عَشْرَةَ (١٣) خُطْبَةً، وَسَمَّيْتُهُ: «**الأَخْلَاقُ؛ مِنْ خُطَبِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ**».

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَيَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الأَخْلَاقُ الحَمِيدَةُ

حِفْظُ اللِّسَانِ(١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحْدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أَعرضَ عن ذِكْره هوى.

أيُّها المسلمون:

نِعَمُ اللَّه على العباد لا تُحصى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، واللِّسانُ من النِّعَم العظيمة ولطائفِ صُنعِ اللَّه العجيبة، امتَنَّ به على الإنسان فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، به العِلمُ والبيانُ والتَّكريمُ لبني آدم؛ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾.

وكلُّ ما يقولُه العبدُ محفوظٌ في صحائفِه، وسيلقى به ربَّه يوم

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع من شهر رجب، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

القيامة؛ قال سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؛ ولذا أمَر اللَّه عبادَه بالقول السَّديد؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾، كما أمرَهم بأن يقولوا أطيبَ الكلام وأحسَنه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

ومن واجبات الإيمان: حِفْظُ اللِّسان إلَّا من الخير؛ قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**» (متفق عليه)، وامتدَح اللَّهُ عبادَه المؤمنينَ بالإعراض عن اللَّغو من القول والعمل؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

والمسلِمُ مَنْ حَفِظَ لسانَه، وحِفْظُه ممَّا تَتَفاضلُ فيه منازلُ العباد؛ سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: **مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» (متفق عليه)، والجَنَّةُ جزاءُ مَنْ حَفِظ لسانه؛ قال ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ** - أَيْ: لِسَانَهُ -، **وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ** - أَيْ: فَرْجَهُ -؛ **أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**» (رواه البخاري).

اللِّسانُ صغيرُ الجُرم، كثيرُ النَّفع، وقد يكونُ شديدَ الضَّرر؛ لذا استعاذ النَّبيُّ ﷺ من شَرِّه فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ لِسَانِي**» (رواه أبو داود)، وخافَه ﷺ على أصحابه وأُمَّته؛ قال سفيانُ بنُ عبد اللَّه الثَّقفيُّ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: **هَذَا**» (رواه الترمذي).

وعلى الخوفِ منه سار الصَّحابةُ رضي الله عنهم؛ فأخرج أبو بكرٍ رضي الله عنه لسانَه وقال: «هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ»، وكان ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يأخذُ بلسانِه

ويقول: «وَيْحكَ! قُلْ خَيْراً؛ تَغْنَمْ، أَوِ اسْكُتْ عَنْ سُوءٍ؛ تَسْلَمْ، وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَتَنْدَمْ».

اللِّسانُ خطرُه عظيمٌ في الدُّنيا والآخرة؛ فكم أَفسدتِ الكلمةُ على أقوامٍ حياتَهم، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ»، وقد يُهلِكُ الكلامُ صاحبَه حتى يلقَى اللَّهَ مُفلِساً؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ؟** قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: **إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**» (رواه مسلم)، و«سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: **الفَمُ، وَالفَرْجُ**» (رواه الترمذي)، و«**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا؛ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**» (متفق عليه).

وأعظمُ آفاتِ اللِّسان: دعاءُ غيرِ اللَّه، وجَعْلُ نِدٍّ له سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾، و«**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدّاً؛ دَخَلَ النَّارَ**» (رواه البخاري).

واللَّهُ هو المُنعِمُ وحْدَه، ومِنَ الشِّرْكِ: نسبةُ النِّعَمِ لغيره؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**قَالَ اللَّهُ** - فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ -: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ؛**

فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ» (متفق عليه).

والاستعاذةُ بغيرِ اللَّهِ لا تَزيدُ صاحِبَها إلَّا خوفاً وضَعْفاً؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

ومِنَ الشِّرك في القول: الحَلِفُ بغير اللَّه؛ قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» (رواه أحمد)، و«مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِباً مُتَعَمِّداً؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ» (متفق عليه)، و«مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ؛ فَلَيْسَ مِنَّا» (رواه أبو داود).

وله سبحانَهُ الكمالُ المطلقُ، ومَنْ تسمَّى بأسماءٍ مختصَّةٍ باللَّه؛ أذلَّه اللَّهُ؛ قال ﷺ: «إِنَّ أَخْنَعَ - أَيْ: أَوْضَعَ - اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ؛ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ» (متفق عليه).

والأمرُ للَّهِ وحدَه، ومشيئة غيره لا تُقرَنُ بمشيئته سبحانه على جهة التَّسوية لفظاً أو معنًى؛ قال ﷺ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ؛ وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ» (رواه أحمد).

والقَدَر قدْرة اللَّه، والإيمانُ به ركنٌ من الإيمان، فلا يقال: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا؛ ... فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (رواه مسلم)، والتَّسخُّطُ على الأقدارِ بالأقوال من أمر الجاهلية، و«النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا؛ تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ - أَيْ: قَمِيصٌ مُحْرِقٌ - وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» (رواه مسلم).

واللَّهُ يُصَرِّفُ اللَّيلَ والنَّهارَ ويدبِّرُه، وسَبُّ الدَّهرِ يُناقضُ الإيمانَ أو يُضعفُه، قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» (متفق عليه).

ومَنْ أساء الظَّنَّ باللَّهِ وقنَّطَ الخلقَ من رحمته؛ فقد تَعرَّضَ لوعيد اللَّه؛ قال عابدٌ من بني إسرائيل لِعَاصٍ منهم: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ! وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» (رواه مسلم)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»، و«إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ؛ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ» (رواه مسلم).

وعِلْمُ الغيبِ مختصٌّ به سبحانه؛ قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾، و«مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (رواه مسلم)، و«مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» (رواه أحمد).

ومِنْ أعظمِ المُحرَّماتِ: القولُ على اللَّهِ بلا عِلمٍ؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

والاستهزاءُ بالدِّين يُخرِجُ صاحِبَه منه؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۞ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾.

والكذبُ مِنْ قبائحِ الذُّنوبِ وفواحشِ العيوب، وأصلُ كلِّ شرٍّ، وهو من علامات النِّفاق، «وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ

يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً» (متفق عليه)، وأقبحُ الكذبِ ما كان على اللَّه ورسوله؛ قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، وقال ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» (متفق عليه).

ومَنْ حَلَفَ كاذباً ذاكراً على أمرٍ ماضٍ؛ فيَمِينُه غَمُوسٌ تَغمِسُ صاحِبَها في النَّار، و«**مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ؛ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» (متفق عليه).

ومِنَ الكذبِ: الادِّعاءُ في الأَنْسَاب؛ قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى قَوْماً لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ** - نَسَبٌ -؛ **فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» (متفق عليه).

ومِنَ الكبائر: شهادة الزُّور؛ قال ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟** - ثَلَاثاً -، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: **الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئاً، فَقَالَ: **أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ» (متفق عليه).

و«**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» (رواه مسلم)، و«**مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: **نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**» (متفق عليه).

ومِنَ المُوبِقَاتِ: قَذْفُ المُحْصَنَات الغافلاتِ المؤمناتِ؛ قال ﷻ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

والبُهتان: رميُ بريءٍ بما ليس فيه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

والغِيبَة: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» (رواه مسلم)، وهي مِنْ كبائرِ الذُّنوب؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «حَرَّمَ اللَّهُ الغِيبَةَ كَمَا حَرَّمَ المَيْتَةَ».

ومِنْ آفات اللِّسانِ: السَّعيُ بالنَّميمةِ بين الخَلق: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾، وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**» (متفق عليه)، قال يحيى ابنُ أبي كثير رحمه الله: «يُفْسِدُ النَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ مَا لَا يُفْسِدُ السَّاحِرُ فِي سَنَةٍ».

و«**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ**» (متفق عليه)، «**لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ؛ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**» (رواه البخاري).

و«**لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**» (متفق عليه)، ومَنْ لَعَنَ شيئاً ليس بأهلٍ رجَعَتِ اللَّعنةُ عليه؛ و«**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ**» (رواه أحمد)؛ قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (رواه مسلم).

والسُّخريةُ بالخَلْق من أنواع الكِبر، و«**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**» (رواه مسلم)؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، و«**مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ بِالأَنْسَابِ**» (رواه الطبراني).

وكما حرَّم الإسلامُ سبَّ الأحياء؛ حرَّم أيضاً سبَّ الأموات؛ قال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**» (رواه البخاري)، بل نَهَى الإسلامُ عن سبِّ الرِّيح والحُمَّى والدَّواب.

ومَنْ جاهَر بسوءٍ فقد تَعرَّضَ لِهَتْكِ سِتْر اللَّه عليه؛ قال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ**» (متفق عليه).

والمُسلِمُ يَبتغي بنفقته وجهَ اللَّه، والمنُّ بالصدقة يُبطِلُها، والمنَّانُ لا يُكلِّمُه اللَّهُ، ولا يَنظرُ إليه، ولا يُزكِّيه يومَ القيامة.

وسؤالُ الخَلْقِ منهيٌّ عنه؛ قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ المَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحمٍ**» (متفق عليه).

ومَنْ جادلَ بباطلٍ أبغضَه اللَّهُ؛ قال ﷺ: «**أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ: الأَلَدُّ الخَصِمُ**» (رواه مسلم).

وسلامةُ البيوتِ بِحفظِ أسرارِها؛ قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**» (رواه مسلم).

وفضولُ الكلام مَزِلَّةُ قَدَمٍ، واللَّهُ كَرِه لنا «قِيلَ وَقَالَ» (متفق عليه)، و«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الـمَرْءِ: تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» (رواه أحمد)، قال سَهْلُ بنُ عبدِ اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ؛ حُرِمَ الصِّدْقَ»، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلَامِ؛ إِلَّا كَلَاماً تَظْهَرُ المَصْلَحَةُ فِيهِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فكفُّ اللِّسانِ وضَبطُه أصلُ الخيرِ كلِّه، ومَن مَلَك لسانَه فقد مَلَك أمرَه وأحكَمَه، و«مَنْ صَمَتَ؛ نَجَا» (رواه أحمد)، ولا يزال العبدُ سالماً ما سكَتَ، فإنْ تكلَّم كُتِبَ له أو عليه، وَمَنْ عدَّ كلامَه من عملِه؛ قلَّ كلامُه فيما لا يعنيه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ أي: من كلامهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أبوابُ الخيرِ كثيرةٌ، ومن مَلَكَ لسانَه فقد مَلكَ ذلك كلَّه؛ قال ﷺ لمُعاذٍ رضي الله عنه: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟** قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: **كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ** - أَوْ قَالَ: **عَلَى مَنَاخِرِهِمْ** - **إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!**» (رواه أحمد).

والمرءُ بِأَصْغَرَيْهِ؛ قلبِه ولسانِه، وعلى صلاحِهِمَا وفسادِهِمَا يكونُ صلاحُ العبدِ أو فسادُه، ولا يَستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يَستقيمَ قلبُه، ولا يَستقيمُ قلبُه حتى يَستقيمَ لسانُه.

والقلوبُ كالقدور؛ تَغلي بما فيها، وألسنتُها مَغارِيفُها، وإذا تكلَّمَ المرءُ فإنَّ لسانَه يغرِف لكَ ممَّا في قلبِه؛ فَأَبْطِنْ خيراً يُخرِجْ لسانُكَ خيراً.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الصِّدْقُ (١)

الحمدُ للَّه الذي خَلَقَ الإنسانَ من طينٍ، وجَعَلَهُ بقُدْرَتِه في قرارٍ مَكِين، أَحْمَدُه تعالى حَمْدَ الشَّاكرين.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، المَلِك الحقّ المُبين.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، الصَّادقُ الأمين، أصدقُ النَّاس قولاً، وأخلصُهم عملاً، وأوفاهم عهداً، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه مصابيحِ الهُدَى وأعلامِ الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فإنَّ أوثقَ العُرَى تَقْوَى اللَّه، وهي وَصيَّةُ اللَّه للأوَّلين والآخرين، وطريقُ النَّجاة يومَ الدِّين.

أيُّها المسلمون:

لقد خلقَ اللَّهُ الإنسانَ من ضَعْفٍ، وأوجدَه من عدمٍ، وعلَّمه بعد جهلٍ، وشرَّفه مِنْ بينِ المخلوقات، وخصَّه بالنُّطق والبيان، فباللَّفظِ يُعَبِّرُ الإنسانُ عن بُغيتِه، ويُفصِحُ عن مَكْنُون فؤادِه، وبه تَظهرُ الرِّفعةُ والدُّنوُّ، والهِمَّةُ والعلوُّ، مَنْ تكلَّم به بحقٍّ عَلَا ونجا، ومَنْ نطق به بباطلٍ هلك وشقي.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادسَ عشَر من شهر ربيع الأول، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

هذا، وإنَّ مِنْ أكرمِ الصِّفاتِ الإنسانيَّة، وأعظمِ الفضائلِ الأخلاقيَّة: ما يَنطقُ به اللِّسانُ من الصِّدق؛ فهو أساس الحياةِ الكريمة، وأهمُّ الأسسِ في بناءِ الأمَّة وسعادةِ المجتمع.

أمَر اللَّهُ بالتَّحلِّي به، وجَعَله خُلُقاً لِحَمَلَةِ وحيِه ومبلِّغي رسالاته؛ يقولُ تعالى عن خليله إبراهيمَ ﵇: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾، ويقولُ عن إسماعيلَ ﵇: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

يتحلَّى بالصِّدقِ الأماثلُ من الرِّجال، ويتَّصفُ به الأوفياءُ من المؤمنين الذين صَفَتْ أرواحُهم من الكَدَر، وطَهُرتْ قلوبُهم من الرَّيْن، وعَلَتْ نفوسُهم عن كلِّ دَنِيءٍ مُحْتَقَر.

إنَّه أمارةٌ على سعادةِ الأُمَّة، ونقاءِ سرِيرَتها وهو مَنْبَعُ الخيرِ لها؛ يقول المصطفى ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقاً**» (متفق عليه).

هو الحَكَمُ إذا اشتدَّتِ الخصوم، والشَّاهدُ إذا ضاعتِ الحقوق، والمِصباحُ إذا ادْلَهمَّتِ الخطوبُ وتعذَّر الصَّواب.

أيُّها المسلمون:

لقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ على الصِّدق؛ لأنَّه مُقدِّمةُ الأخلاق، والدَّاعي إليها، وهو علامةٌ على رِفعة المُتَّصِف به، فبه يَصِلُ العبدُ إلى منازل

الأبرار، وبه تَحصلُ النَّجاةُ من جميعِ الشُّرور، كما أنَّ البركةَ مقرونةٌ به، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا؛ بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا؛ مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**» (متفق عليه)، ولذا فإنَّك لا تَجِدُ صادقاً في معاملته إلَّا وتَجِدُ رِزقَه رَغداً، وحياتَه طيِّبةً، وتَسنَّمَ مراتبَ الشَّرفِ والسُّموِّ.

فالصَّادقُ يَطمئنُّ إلى قوله العدوُّ والصَّديق، مؤتَمَنٌ على الأموالِ والحقوقِ والأسرار، ومتى حصلتْ منه كبوةٌ أو عثرةٌ فَصِدْقُه شفيعٌ مقبولٌ، والكاذبُ لا يُؤمنُ على مثقالِ ذرَّةٍ، ولو قُدِّر صِدْقُه أحياناً لم يُسمعْ! أَلَا ترى قولَ اللَّهِ ﷻ في إخوةِ يوسفَ عند ما قالوا لأبيهم: ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۞ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ﴾، فَصِدْقُهُم هذا أَبطلَهُ كَذِبُهُمُ الأوَّلُ حينما قالوا عن يوسف: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ﴾.

فعلى المسلِم أن يَشعُرَ بمرتبته في الوجود، وأن يُدركَ منزلتَه في الدُّنيا، وأن يَتخلَّقَ بأخلاق العِظَام؛ فيَصدُقَ إذا تَحدَّث، ويُخْلِصَ إذا تَعامَل، ويُؤدِّيَ إذا اؤْتُمِنَ، ويُنْجِزَ إذا وعد.

وإنَّ قِلَّةَ الصِّدقِ وكَثْرةَ الكَذِبِ آفةٌ، إذا اسْتَشْرَتْ في المجتمع قَوَّضَت أركان سلامتِه، وهَدمتْ أساسَ استقرارِه، وأَبدلَتْ طمأنينةَ أفرادِه قلَقاً، وسعادتَهم شقاءً.

والحياةُ في مجتمعٍ يمارِسُ أفرادُه الكذبَ حياةٌ بئيسةٌ.

إنَّ تَقدُّمَ المجتمعِ المسلِم، ورفاهيَّتَه، وسلامةَ واطمئنانَ أفرادِه؛ كلُّ ذلك مرهونٌ بشيوعِ الصِّدق بيْنَ أفراده.

لقد طَغتِ المادِّيَّةُ المُظلِمةُ على بعض المسلمين اليوم، فجَهِل مكانَه في هذه الحياة، وبَعُدَ بذاته عن الحِكمة التي مِنْ أجْلها خُلِقَ، وأبى إلَّا أَنْ يَتَخلَّقَ بالأخلاقِ البغيضة، ويَتطبَّعَ بالطِّباع المَرْذولةِ؛ لآمالٍ موهومةٍ كاذبةٍ.

لقد أَنكَرَ القرآنُ العظيمُ على أقوامٍ جَرْيَهم وراءَ الظُّنونِ التي ملأتْ عقولَهم بالخرافات، وأَفسدَتْ حاضرَهم ومستقبلَهم بالأكاذيب؛ قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

إنَّ الصَّادقَ شهادتُه بِرٌّ، وحُكمُه عَدْلٌ، ومعاملتُه نَفعٌ، مَن صَدَقَ في عمله بَعُدَ عن الرِّياء والسُّمعة؛ صلاتُه وزكاتُه، وصومُه وحجُّه، وعلمُه ودعوتُه للَّه وحده لا شريك له، لا يُريدُ بإحسانه غِشّاً ولا خَدِيعةً، ولا يَطلبُ من أحدٍ من الخلْق جزاءً ولا شكوراً، صدقُه في أقوالِه وأفعاله هو مُطَابقةُ مظهَرِه لِمَخْبَره، وتَصديقُ فِعلِه لقوله.

أيُّها المسلمون:

لقد أمر اللَّهُ جميعَ فئاتِ المُجتَمعِ بالصِّدق على اختلافِ معارفِهم وعلومِهم؛ فالعلماءُ - ورثةُ الأنبياءِ في تبليغ الدِّين - قدوةٌ صالحةٌ في

تحرِّيهم الصِّدقَ في أقوالِهم وأفعالِهم، يَعملون بما يَحمِلون من عِلمٍ وما ينقلونه من الدِّين: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾.

والتَّاجرُ المُؤمِّلُ الرِّبحَ المبارَكَ في تجارته؛ يَجبُ عليه أن يَتحرّى الصِّدقَ، فلا يُرَوِّجْ سلعته بالكذبِ والأيمانِ الفاجرة؛ فإنَّ ذلك مُمْحِق للكسب، مُذهِبٌ لبركةِ الرِّبح، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فُجَّاراً؛ إِلَّا مَنِ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ**» (رواه ابن ماجه)، فجورُهم نابعٌ من تَكْرارِ الكذبِ منهم، «**وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ**» (متفق عليه).

والأُجَراءُ على اختلافِ مراتبهم وتنَوُّعِ أعمالِهم ومناصِبهم؛ يَجبُ أن يَتحَرَّوا الصِّدق، فلا يزعمون زعماً تكذِّبُه الحقائقُ، ولا يُصدِّقُه الواقع؛ وكلَّما عَلتِ الهمَّةُ، واتَّسعَ النّفوذُ، وتَشعَّبتِ المسؤوليات؛ كان الصِّدقُ أَوجب، «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» (متفق عليه).

إنَّ التَّمسُّكَ بالصِّدق في كلِّ شأنٍ، وتحرّيَه في كلِّ قضيَّةٍ، والمصيرَ إليه في كلِّ حُكمٍ؛ دِعامةٌ مكينةٌ في خلُق المسْلم؛ فالإيمانُ أساسُه الصِّدق، والنِّفاقُ أساسُه الكذب، وقد أَخبر اللَّهُ سبحانه أنَّه في يوم القيامةِ لا يَنفعُ العبدَ، ولا يُنَجِّيه من عذابِه إلَّا صدْقُه؛ قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾.

صدقٌ في القول، وصدقٌ في الإرادةِ والنِّيَّة، وصدقٌ في العمل، وصدقٌ في المعاملات.

أيُّها المسلمون:

لقد أمر اللَّهُ رسولَه ﷺ أن يَسألَه أَنْ يَجعلَ مُدْخلَه ومُخْرَجَه على الصِّدق؛ فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾، وأَخبر عن خليلِه إبراهيمَ عَلَيهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾، وبشَّرَ عبادَهُ بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

فهذه خَمْسةُ أمورٍ: مدخَلٌ، ومخرَجٌ، ولسانٌ، وقَدَمٌ، ومقعَدُ الصِّدق؛ وحقيقة هذه كلِّها هو الحقُّ الثَّابتُ المُتَّصِلُ باللَّه، المُوصِلُ إلى اللَّه، وهو ما كان باللَّه ولِلَّه من الأقوال والأفعال.

وعلى هذا المثالِ القَوِيم سار الرَّعيلُ الأوَّلُ والسَّلفُ الصَّالحُ رضوانُ اللَّه عليهم أجمعين، وأناروا بصدْقهم الظُّلَمَ، وكانوا مَنَاراتٍ للأمم؛ فهذا كعبُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ما صَدَق في تَخَلُّفِهِ عن غزوة تبوك، وكان من الثَّلاثة الذين خُلِّفوا، حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رحُبَت، وضاقتْ عليهم أنفسُهم؛ قال له رسول اللَّه ﷺ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ!** قَالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: **لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،** قَالَ: وَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقاً مَا بَقِيتُ - قَالَ كَعْبٌ ﷺ -: وَاللَّهِ! مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ» (متفق عليه).

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه ربِّ البَرِيَّات، عَالِمِ الخَفيَّات، المُطَّلِع على الضَّمائرِ والنِّيَّات، أَحْمَدُه سبحانه على ما خصَّنا به من جلائلِ النِّعَم، وأَشْكُرُه تعالى على ما حَبَانا به من أنواع الجودِ والكَرَم.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلام.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، خيرُ مُرْسَلٍ وأكملُ إمامٍ، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً على الدَّوام.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخيرَ الهدي هديُ رسول اللَّه ﷺ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار، وعليكم بجماعة المسلِمين؛ فإنَّ يدَ اللَّه مع جماعة المسلِمين، ومَنْ شذَّ عنهم شذَّ في النار.

عبادَ اللَّه:

إنَّ الفضائلَ والمحامدَ الَّتي يَغرِسُهَا الإسلامُ في النُّفُوسِ بالصَّلاح والإصلاح، إلى جانبها نقائصُ ورذائلُ حاربها الإسلام؛ لأنَّها مَزِلَّةٌ للأقدام، وعواملُ لهبوطِ النَّفْسِ الخُلُقيّ، وفي طَلِيعَتِها الكذب؛ فهو من

أقبحِ النَّقائص وأردى الرَّذائل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، وقَرَنَ اللَّهُ الكذبَ بعبادةِ الأوثان؛ فقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾.

صِنفٌ من النَّاس يَرى أنَّ الكذبَ لونٌ من ألوانِ الدَّهاءِ والذَّكاءِ وحُسْنِ الصَّنيع؛ بل ومِنْ مميِّزاتِ الشَّخصيَّةِ المُقتدِرة، كيف يكونُ ذلك؟! وهو رذيلةٌ مَحْضَةٌ! أساسُها الآثامُ وأصلُ الشُّرور، يدلُّ على تَغلْغُلِ الفسادِ في نَفْسِ صاحِبه، وهو من علاماتِ الجُبْنِ والضَّعف، وأمارةٌ من أمارات النِّفاق؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**» (متفق عليه)، زاد مسلمٌ: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

اللَّهُ أكبر! كمْ ضاعتْ بالكذبِ من حقوق، وانتُهِكتْ به من حرمات؟! وكم كان سبباً في قطْعِ الصِّلاتِ وإثارةِ العداوات؟! إنَّ الكاذبَ يُفكِّكُ المجتمعَ بكذبِه، ويُفرِّقُ الجَمْعَ بما يَفْتَرِيه من أجل أمورٍ وهميَّةٍ وظنونٍ كاذبةٍ.

الكذبُ سببٌ ذريعٌ في فشل الأعمالِ وضَياعِ الحقوق؛ يُهِينُ كرامةَ الإنسان، ويُذْهِبُ بشرفِ الرِّجال، وهو من قبائحِ الذُّنوبِ وفواحشِ العيوب، مهانةٌ ورداءةُ طبعٍ، وضعفُ دينٍ، وما كان كذلك فكيف يُوصَفُ صاحبُه بالدهاء؟!

حقُّه يُعْصَى إن أَمَر، ويُخالَفُ إن نهى؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾، يُبْتعَدُ عنه إن قَرُب، ويُحْذَر منه إن بَعُد، نَفَسُه مَسْمُومٌ، وقلبُه محمومٌ، ومن نأى عن الصِّدقِ وقع في مَهَاوِي الكذبِ والضَّلال.

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه -، والْزَمُوا صِدقَ القولِ والعمل؛ تَفُوزُوا بخيرَيِ الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الشُّكْرُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتَقْوى اللَّه نورٌ في القلب، وذُخْرٌ في المُنْقَلَب.

أيُّها المسلمون:

لقد أَجزلَ اللَّهُ على عباده من نِعَمِه العظيمة، وأَغْدَق عليهم من آلائه الجسيمة، «**يَمِينُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» (متفق عليه)، يَقْسِمُ الأرزاقَ، ويُغدِق العطايا، ويَرزقُ من يَشاءُ بغير حساب، يَبتلي عباده بالنِّعَم كما يَبتليهم بالمصائب: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، واللَّهُ مُنعِمٌ بهذا كلِّه، وفتنةُ السَّرَّاءِ أَعظمُ من فتنةِ الضَّرَّاء، وصاحبُها يَحتاجُ إلى صبرٍ وشُكرٍ، والفقرُ والغِنَى مَطِيَّتَا

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالثَ والعشرين من شهر شوال، سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الابتلاءِ والافتتان، والصَّبرُ والشُّكرُ لازِمان للعبد في أَمْرِ الرَّبِّ ونهْيه، وقضائِه وقدَرِه، والتَّقوى مبنيَّةٌ عليهما، وقد قَرَن سبحانه الشُّكر بالإيمان به؛ فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ﴾.

وأَخبر سبحانه أنَّ الشُّكرَ هو الغاية مِن خَلْقِه وأمْرِه؛ فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وجَعل سبحانه رضاه في شُكره ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾، واللَّهُ خَلَقَ اللَّيلَ والنَّهار؛ للتَّفكُّر والشُّكر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، وانقَسم عبادُه إلى شكورٍ له وكفورٍ به: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

وأَخبر سبحانه أنَّه إنَّما يَعبدُه مَن شَكَره، فمَن لم يَشكرْه لم يكنْ من أهلِ عبادته، وقد أَثنى اللَّه على أوَّلِ رسولٍ بَعَثه إلى أهل الأرض بالشُّكر؛ فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، وأمَر عبدَه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَتلقَّى ما آتاه من النُّبوَّة والرِّسالة والتَّكليم بالشُّكر؛ فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، وأثنى على خليله إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بشُكرِ نِعَمِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ﴾، وأمَرَ اللَّهُ به آلَ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقال: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ﴾، ودعا سليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه أن يكونَ من الشَّاكرين: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾،

وأَمَر اللَّهُ رسولَه مُحَمَّداً ﷺ بالشُّكر؛ فقال: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، وأَمَر اللَّهُ لقمانَ بالشُّكر؛ فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾.

وأوَّلُ وصيَّةٍ وصَّى بها ربُّنا الإنسانَ الشُّكرُ له وللوالدين؛ فقال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وبالشُّكرِ أَمَر الأنبياءُ أقوامَهم؛ فقال إبراهيمُ عليه السلام لقومِه: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾، والآياتُ والعِبَرُ لا يتَّعظُ بها إلَّا الشَّاكر؛ قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾، وأَغْدقَ علينا النِّعمَ؛ لِنُثْنيَ عليه بها؛ قال جل وعلا: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، وهو وصيَّةُ النَّبيِّ ﷺ لأصحابه؛ فقد قال: «**يَا مُعَاذُ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» (رواه أبو داود).

ودعاءُ العبدِ ربَّه أن يوافيَ نِعمَ اللَّهِ بالشُّكر مِنْ أفضل الأدعية، يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمه الله: «تَأَمَّلْتُ أَفْضَلَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»»، وأهلُ الشُّكرِ هم المُختصُّون بمنَّتِه من بيْن عبادِه، وهم الَّذين لا يتزعزعون عند الفِتَن: ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، ولـمَّا عَرف عدوُّ اللَّهِ إبليسُ قَدْرَ مقامِ الشُّكرِ، وأنَّه من أجلِّ العبادات وأعلاها؛ جَعل غايتَه السَّعيَ في قطْع الناسِ عنه، فقال: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾.

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ أَشكَرُ الخلْقِ لربِّه - خَرجَ من الدُّنيا ولم يَشبعْ من خبز الشَّعير، ورَبطَ على بطنِه الحجرَ من الجوع، وغُفِر له ما تقدَّم مِن ذنْبه وما تأخَّر -، يقومُ من اللَّيلِ حتى تَتفطَّرَ قدماه، ويقول: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟!» (متفق عليه).

وداود عليه السلام «كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْماً، وَيُفْطِرُ يَوْماً» (متفق عليه)؛ واللَّه ﷻ يقول له: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ﴾.

والشُّكرُ أَمَنَةٌ من العذاب؛ قال ﷻ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ﴾، ونجَّى اللَّه لوطاً عليه السلام من العذاب بالشُّكر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۞ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾.

ولمَّا تَنكَّرَ قومُ سبأٍ لنِعَمِ اللَّهِ وجَحَدوها وقابلُوها بالعصيان؛ سلبَها منهم وأذاقهم ألواناً من العذاب؛ قال اللَّه في شأنهم: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

وأصحابُ الجنَّةِ - في سورة القلم - قابَلُوا نِعمةَ اللَّهَ بالنُّكرانِ وحِرمانِ المساكين؛ فطافَ على ثمرِهم طائفٌ فأصبحتْ زُروعُهم هباءً كاللَّيل البَهيم، يقولُ الفضيلُ بن عياضٍ رحمه الله: «عَلَيْكُمْ بِمُلاَزَمَةِ الشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ؛ فَقَلَّ نِعْمَةٌ زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ».

والشَّاكرون لنِعم اللَّه قِلَّةٌ في الخلْق؛ قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾، وكلُّ نعمةٍ لا تُقرِّبُ من اللَّه فهي نقمةٌ، والشُّكرُ هو الحافظُ

للنِّعم الموجودة والجالبُ للنِّعم المفقودة، يقول عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «النِّعْمَةُ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ يَتَعَلَّقُ بِالمَزِيدِ، وَلَا يَنْقَطِعُ المَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ».

والعبدُ إذا كانت له عند اللَّه منزلةٌ فحَفِظَها، وبقي عليها، ثمَّ شَكَر اللَّه على ما أعطاه؛ آتاه اللَّهُ أشرفَ منها، وإذا ضيَّعَ الشُّكرَ استدرجَه اللَّه، يقول الحسنُ البَصريُّ رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ يُمَتِّعُ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يُشْكَرْ عَلَيْهَا قَلَبَهَا عَذَاباً»، وإذا رأيتَ ربَّك يوالي عليك نِعَمَهُ وأنت تَعْصِيهِ فاحذره؛ قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال سفيان رحمه الله: «يُسْبِغُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ وَيَمْنَعُهُمُ الشُّكْرَ».

ومَنْ رُزِق الشُّكرَ رُزقَ الزِّيادة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، يقول أبو قِلابة رحمه الله: «لَا تَضُرُّكُمْ دُنْيَا شَكَرْتُمُوهَا»، وقد ذمَّ سبحانه الكَنُودَ من عباده - وهو الذي لا يَشكرُ نِعَمَه -؛ فقال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

أيُّها المسلِمون:

بشُكرِ اللَّه وطاعتِه تَتَفَتَّحُ للعبد أبواب الدُّنيا والآخرة؛ قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، وشُكرُ اللَّهِ يكونُ بالقلب واللِّسان والجوارح؛ فيكون بالقلب بنسبة النِّعَم إلى بارئها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، ويكونُ باللِّسانِ بالإكثارِ من الحمد لِمُسْدِيها؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**وَالحَمْدُ لِلَّهِ؛ تَمْلَأُ المِيزَانَ**» (رواه مسلم)، فالحمدُ رأسُ الشُّكرِ وأوَّله، وهو أوَّلُ آيةٍ

في كتاب اللَّه المجيد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقد أمَر اللَّهُ نبيَّه ﷺ أن يحدِّثَ بِنعم اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

والشُّكرُ بالجوارح: يكونُ بالاستعانةِ بِها على مرضاتِ اللَّهِ، ومنْعِ استخدامِها في مَساخِطِه وعِصيانه؛ فشُكرُ العينِ أن لا يُبْصِرَ بها ما حرَّمَ اللَّه، ولا يُطْلِقَ بصرَه على حرمات اللَّه، وشكرُ اللِّسانِ أن لا يَتحدَّثَ به إلَّا حقّاً، ولا يَنطِقَ به إلَّا صدقاً، وشُكرُ الأذنين أن لا يَستمعَ بهما إلى غِيبةٍ وبُهتانٍ ومحرَّم.

وقد أَمَرَ اللَّهُ بشكر الوالدين بقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، ومِنْ شكرِهما برُّهما والإحسانُ إليهما، والدُّعاءُ لهما، والتَّودُّدُ والتَّلطُّفُ لرضاهما، وخَفضُ جَناحِ الذُّلِّ لهما، ومِنَ العصيانِ عُقوقُهُما، والتَّأَفُّفُ والتَّنكُّرُ لأوامرِهما، والتَّثاقُلُ عن طاعتِهما. وأسعدُ النَّاس مَنْ جَعلَ النِّعَمَ وسائلَ إلى اللَّهِ والدَّارِ الآخرة، وأشقاهم مَنْ توصَّلَ بنعمه إلى هواه ونيل ملذاته.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

ربُّنا متَّصِفٌ بالشُّكر، وأحبُّ خلْقه إليه مَن اتَّصفَ بصفة الشُّكر، كما أنَّ أَبغضَ خلْقِه إليه مَن عطَّلَها واتَّصفَ بضدِّها، فهو سبحانه شكورٌ يُحِبُّ الشَّاكرين، ومِنْ شُكْرِ اللَّهِ شُكْرُ مَنْ أسدى إليك معروفاً مِنْ خلْقه؛ يقول ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» (رواه أحمد).

وإذا أَسْدَيتَ إلى أحدٍ معروفاً؛ فلا تَترقَّبْ منه شكراً، وابتغِ الثَّواب من اللَّه، وكُنْ قَنُوعاً بما رزقَكَ اللَّهُ تَكُنْ أَشكرَ النَّاس، وأَكْثِرْ مِن حَمْدِ اللَّه والثَّناءِ عليه؛ فتلك عبادةٌ مِن أجلِّ العبادات؛ يقول ﷺ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ مِثْلُ الصَّائِمِ الصَّابِرِ» (رواه الحاكم)، ومَنْ لم يَشكرِ القليلَ لم يَشكرِ الكثير، وكان أبو المُغيرة رَحِمَهُ اللَّهُ إذا قِيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: «أَصْبَحْنَا مُغْرَقِينَ بِالنِّعَمِ، عَاجِزِينَ عَنِ الشُّكْرِ»، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾، وما مِنَ الناسِ إلَّا مبتلًى بعافيةٍ؛ لِيُنظرَ كيف شُكرُه، أو ببليةٍ؛ لِيُنظرَ كيف صبْرُه.

فعليكم - عبادَ اللَّه - بالجمع بين الصَّبر والشُّكر مع التَّقوى؛ تكونوا مِن أعبدِ النَّاس.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

حُسْنُ الخُلُقِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

شرَعَ اللَّهُ لعباده أنواعاً من الطَّاعات والقُرُبات، وأَمَرَنا وأمَرَ الأُمَم قبْلَنا بعبادةٍ تُقرِّبُ العبدَ من ربِّه، وتُثْقِلُ ميزانَه يوم القيامة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**» (رواه الترمذي)، وتَرفعُ درجاتِه وتزيدُ في حسناته؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**» (رواه أحمد)، وثوابُها يَتضاعفُ ولو كان بأمرٍ يسيرٍ منها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**» (رواه مسلم).

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر جمادى الأولى، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وخيرُ الخَلْقِ مَنْ كان مؤمناً واتَّصَفَ بها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً**» (متفق عليه)، وهي أكثرُ ما يُدخِلُ النَّاسَ الجنَّة؛ «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: **تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ**» (رواه الترمذي)، وبها يَكمُلُ إيمانُ العبد؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً؛ أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً**» (رواه أحمد)، وأعلى الدَّرجات في الآخرة لِمَنْ أدَّاها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**» (رواه أبو داود)، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدِّينُ: الخُلُقُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الخُلُقِ؛ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ»، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يدعو ربَّه في صلاته أن يَنالها؛ فكان يقول: «**وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**» (رواه مسلم)، ويقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي؛ فَأَحْسِنْ خُلُقِي**» (رواه أحمد)، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تَتِمُّ التَّقْوَى إِلَّا بِحُسْنِ الخُلُقِ».

وأقربُ النَّاسِ منزلةً إلى الرُّسلِ يومَ القيامة أحسنُهم خُلُقاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً**» (رواه الترمذي)، وكانَ النَّبيُّ ﷺ يُوصِي صحابتَه بها؛ فقال لمعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» (رواه الترمذي)، وهي مُنْجِيَة برحمة اللَّه من النَّار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**» (متفق عليه).

وبَعَثَ اللَّه نبيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ للدَّعوة إلى الأخلاق الصَّالحة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**» (رواه أحمد)، واتَّصَفَ الرُّسلُ عليهم السلام بأعالي الأخلاقِ وجميلِها؛ فنوحٌ عليه السلام دعا قومَه تسع مئة وخمسين عاماً صابراً عليهم، وإبراهيمُ عليه السلام كان كريماً؛ نَزَل به ضِيفانٌ، فَرَاغَ إلى أهلِه، فجاء بعِجْلٍ سَمِينٍ حنيذٍ، وإسماعيل عليه السلام كان صادقَ الوعد، ويوسفُ عليه السلام قال لِمَنْ كان سبباً في غُرْبَته وسِجْنِه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، وموسى عليه السلام «**كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيراً؛ لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ**» (متفق عليه)، وعيسى عليه السلام كان بارّاً بوالدته.

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ أكملُ النَّاسِ أخلاقاً، وصفه اللَّه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، نشأ وعاش مُتحلِّياً بكلِّ خُلُقٍ كريم، مُبتعِداً عن كلِّ وصفٍ ذميم، قال له رجلٌ: «يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مُتَوَاضِعاً -: **ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام» (رواه مسلم).

وكان أكرمَ الخلْق نَفْساً؛ فما ردَّ سائلاً، وأَطلقَهم وجهاً، قال جريرٌ رضي الله عنه: «وَلَا رَآنِي - أَيْ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي» (متفق عليه)، وأشدَّهم وفاءً؛ إن مَرِضَ أحدٌ من صحابته عادَهُ، وإن افتَقده سأل عنه، وأرحَمَهم قلباً؛ كان يَتجوَّزُ في صلاته إذا سمعَ بكاءَ الصَّبيِّ كراهةَ أن يَشُقَّ على أمِّه، وأَلْيَنَهم طبعاً؛ إذا دَخل بيتَه اشتَغلَ في مِهْنة أهله، وكان أعظمَهم صبراً؛ خَرج من بيته والحجَرُ على بطنه من الجوع فما اشتكى، وأوسعَهم عفواً؛ قاتَلهُ أعداؤه وأدمَوه، ولمَّا فتحَ مكَّةَ قال لهم: «**اذْهَبُوا؛ فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**» (رواه البيهقي)، وأوفرَهم حِلماً؛

آذاه قومه فسأله مَلك الجبال أن يُطبِقَ عليهم جبلَيْن فأبى، وقال لعائشة ﷺ: «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ!**» (متفق عليه)، ولَمْ يَضْرِبْ «شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِماً» (رواه مسلم).

وعلى هذا النَّهج القويم - من الإيمان باللَّه، وعلوِّ الخُلق -: سار الصَّحابةُ ﷺ؛ فكانوا ذوي خُلُقٍ جَمٍّ مع النَّبيِّ ﷺ، قال عُرْوَة بن مسعودٍ ﷺ واصفاً حالهم: «وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ» (رواه البخاري)، وقال عمرو بن العاص ﷺ: «وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» (رواه مسلم).

وكانَ الصَّحابةُ مثالاً في تبجيل بعضهم بعضاً؛ قال عمرُ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ أَحْلَمُ مِنِّي وَأَوْقَرُ»، وقال عَلِيٌّ ﷺ: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ مُتَقَدِّماً فِي كُلِّ خَيْرٍ»، وعثمانُ ﷺ تَسْتَحِي منه الملائكة لحيائه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فما أَكْرَمَ العبدُ نفْسَه بمثل الإيمانِ باللَّه ودَمَاثة الخُلُق، وأصلُ الأخلاق التَّوحيد؛ فمن فَقَدَه لم يَنتفعْ بغيره، قالت عائشة ﷺ للنَّبيِّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ - وَكَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ - كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: **لَا يَنْفَعُهُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**» (رواه مسلم).

وإذا تحلَّى المسلمون بأخلاقِ القرآن؛ صَلَح المجتمع، وكانوا دعاةَ خيرٍ إلى الدِّين بالقدوة الحسنة والأفعال الحَمِيدَة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

أخلاقُ المؤمنِ: استقامةٌ في دينٍ، وبَشاشةٌ في لينٍ، وعفوٌ مع إحسانٍ، وكرمٌ في العطاء، وقَناعةٌ في الفَاقة، وتفريجُ كُربةٍ، وكلمةٌ طيِّبةٌ، وإفشاءُ سلامٍ، وبرٌّ بالوالدين، وإحسانٌ للجار، قال ابنُ المباركِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَخْلَاقُ: بَسْطُ الوَجْهِ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَى».

واللَّهُ قسَّمَ الأخلاقَ كما قسَّم الأرزاق، والقرآنُ جامعٌ لمكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الأعمال؛ سُئِلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلُقِ النَّبيِّ ﷺ فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ» (رواه أحمد).

فاقتدوا بنبيِّكُم بالتَّخلُّقِ بأخلاق القرآن، وسِيرُوا على نَهْجِ صَحَابتِه الكرام، وكونوا بأخلاقهم أُسوةً لغيركم؛ تنالوا السَّعادة في الدَّارين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الحِلْمُ وَالأَنَاةُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

يَعلو المرءُ بالإيمان وحُسن الخُلُق، وترتقي منزلتُه عند اللَّه بالجمْع بينهما؛ قال ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ** - أَيْ: ضَامِنٌ - **بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**» (رواه أبو داود).

والحِلْمُ: أَسَاسُ الأخلاق، ودليلُ كمالِ العقل وامتلاكِ النَّفْس، والمتَّصِفُ به: عظيمُ الشَّأن، رفيعُ المكانة، محمودُ العاقبة، مرضيُّ الفعل، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحِلْمُ، وَالصَّبْرُ عَلَى الأَذَى، وَالعَفْوُ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر صَفَر، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

عَنِ الظُّلْمِ: أَفْضَلُ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، يَبْلُغُ بِهَا الرَّجُلُ مَا لَا يَبْلُغُهُ بِالصِّيَامِ وَالقِيَامِ».

وهو من الخِصال التي يُحبُّها اللَّه في عباده، ووعَد مَن آمَنَ واتَّصفَ به بالمغفرة والجنَّة؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «أَيْ: لَا يُعْمِلُونَ غَضَبَهُمْ فِي النَّاسِ، بَلْ يَكُفُّونَ عَنْهُمْ شَرَّهُمْ، وَيَحْتَسِبُونَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ».

وأحقُّ المتَّصفين به: همُ الرُّسل، قال الفُضَيل رحمه الله: «مِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ: الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ»، واللَّهُ أثنى على إبراهيم عليه السلام بالحِلْم؛ فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾، وبُشِّر بغلامٍ متَّصف بالحِلْم: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾.

ونوحٌ عليه السلام دعا قومَه إلى عبادة اللَّه؛ فجَعلوا أصابعهم في آذانِهم استكباراً عليه وقالوا عنه: ﴿مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾، فحَلُم عليهم ألْف سنةٍ إلَّا خمسين عاماً، وموسى عليه السلام رماه قومُه بالجنون، وتَحَدَّوْه بالسِّحر، وأْتَمرُوا عليه؛ ليَقتلوه؛ فحَلُم عليهم: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾، وحكى النَّبيُّ ﷺ عن نبيٍّ من الأنبياء ضَرَبَه قومُه فأَدْمَوْه؛ فكان يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجهِه، ويقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» (متفق عليه).

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ لاقى الأذى والسُّخريةَ من قومه، وكان يقول لعائشة رضي الله عنها: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ**» (متفق عليه)، ومَلَكُ الجبال يأتيه ويقول له: «إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ

النَّبيُّ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» (متفق عليه)، ورآه أعرابيٌّ فَجَذَبَه بردائه جذبةً شديدةً حتى أثَّر في عُنقه، وقال: «يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ» (متفق عليه)، وامتدَّ حِلْمُه إلى الخَدَم، قال أنسٌ رضي الله عنه: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أُفّاً قَطُّ» (متفق عليه).

وأثنى النَّبيُّ ﷺ على من اتَّصفَ بالحِلْم من الصَّحابة؛ فقال لأشجِّ عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ**» (رواه مسلم)، وأبو بكرٍ رضي الله عنه سَبَق غيرَه بالإيمان وكمال الصُّحبةِ للنَّبيِّ ﷺ، وبما تحلَّى به من صفاتٍ كريمةٍ؛ فشهد له الصَّحابة بذلك، قال عمر رضي الله عنه: «أَبُو بَكْرٍ أَحْلَمُ مِنِّي وَأَوْقَرُ».

والشَّجاعةُ في قوَّةِ القلب وثباتِه، فلا يُزَعْزِعُه قولُ جاهلٍ ولا فِعلُ سَفِيهٍ، والقويُّ الشَّديد هو الذي يَمْلِكُ نفْسَه عند الغضب؛ فيَفعلُ ما يُصْلِحُه، أمَّا المَغلُوب حين غَضبهِ فهو ضعيفٌ، والنَّبيُّ ﷺ مَدَح مَن مَلك نفْسَه عند الغضب؛ فقال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ؛ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**» (متفق عليه).

واحتمال السَّفيه خيرٌ من التَّحَلِّي بصورته، والإِغْضَاء عن الجاهل خيرٌ من مُشَاكلته، ومَنْ سَكَت عن جاهلٍ؛ فقد أَوْسَعَه جواباً وأَوْجَعَه عقاباً، وقال رجُلٌ لِضِرَار بن القَعْقَاع رضي الله عنه: «وَاللَّهِ! لَوْ قُلْتَ لِي مَسَبَّةً وَاحِدَةً لَسَمِعْتَ مِنِّي عَشْراً، فَقَالَ لَهُ ضِرَارٌ: لَوْ قُلْتَ عَشْراً لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي

وَاحِدَةً»، وشَتم رجُلٌ الشَّعْبِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ فأجابَه: «إِنْ كُنْتُ كَمَا قُلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لِي، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كَمَا قُلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ».

ومَنْ صَفح عن الخلْق؛ عفا اللَّه عنه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُعَامَلُ العَبْدُ فِي ذُنُوبِهِ بِمِثْلِ مَا يُعَامِلُ بِهِ العَبْدُ النَّاسَ فِي ذُنُوبِهِمْ ...، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَمَنْ عَفَا؛ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ سَامَحَ أَخَاهُ فِي إِسَاءَتِهِ إِلَيْهِ؛ سَامَحَهُ اللَّهُ فِي إِسَاءَتِهِ، وَمَنْ أَغْضَى وَتَجَاوَزَ؛ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنِ اسْتَقْصَى؛ اسْتَقْصَى اللَّهُ عَلَيْهِ».

والغضب: مُفسِدٌ للأخلاق والأعمال، وللعقل والمُرُوءَات، قيل لابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «اجْمَعْ لَنَا حُسْنَ الخُلُقِ فِي كَلِمَةٍ، قَالَ: تَرْكُ الغَضَبِ».

وتَرْكُ الغضبِ وصيَّةُ النَّبيِّ ﷺ؛ جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «أَوْصِنِي، قَالَ: **لَا تَغْضَبْ**، فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ: **لَا تَغْضَبْ**» (رواه البخاري)، قال الرَّجُل: «فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ» (رواه أحمد).

والعقلُ يَنْقُص عند الغضب؛ فيؤدِّي إلى قول الباطل وكتْم الحق، ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ**» (رواه النسائي)، ويَمنعُ من العدل بين النَّاس؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ**» (متفق عليه).

وقد يَخسَرُ المرءُ شيئاً من ماله بسبب الغضب؛ قال جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ ...، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ

مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ - أَيْ: بَعِيرٍ - فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ، فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ - أَيْ: تَلَكَّأَ -، فَقَالَ لَهُ: شَأْ! لَعَنَكَ اللَّهُ!، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟** قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: **انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ؛ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**» (رواه مسلم)، قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ دُعَاءَ الغَضْبَانِ قَدْ يُجَابُ إِذَا صَادَفَ سَاعَةَ إِجَابَةٍ، وَأَنَّهُ يُنْهَى عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ فِي الغَضَبِ».

وإذا غَضبَ الإنسانُ قالَ ما لا يَعلمُ، ونَدِمَ على ما قد يَعمَلُ - من عقوق والديه، أو قطْع رحمه، أو مفارقة زوجه، أو قطْع رزقه، أو هُجران الأصحاب له، أو الاعتداء على الآخرين، أو صدور أقوالٍ محرَّمةٍ منه؛ من قذفٍ وسبابٍ وفحشٍ، وأنواعٍ من الظلم والعدوان -، ويتوَلَّدُ من ذلك الهَمُّ والوَحشة، والحُزن والوِحدة، وقد يُعاقَبُ على ما بَدَرَ منه في غضبه بِحَدٍّ أو تعزيرٍ، أو عقوبةٍ في الآخرة.

وكان النَّبيُّ ﷺ يأمرُ مَنْ غَضبَ بتعاطي أسبابٍ تَدْفَعُ عنه الغضب، فأمَر بالتَّعوُّذ من الشَّيطان؛ لأنَّه سببُ الغضبِ والعدوان، رأى النَّبيُّ ﷺ رجلاً مُغْضَباً قدِ احْمَرَّ وجهُه، فقال: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ؛ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**» (متفق عليه)، ونَهَى الغضبانَ عن الكلام سوى الاستعاذة؛ فقال ﷺ: «**وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ؛ فَلْيَسْكُتْ**» (رواه أحمد)، فإن كان بقربه ماءٌ

توضَّأ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ؛ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**» (رواه أحمد)، وأمَره بالتَّحَوُّل عن الهيئة التي هو عليها؛ قال ﷺ: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**» (رواه أبو داود).

ومِنْ شرفِ النَّفس وعلوِّ الهِمَّة: التَّرَفُّعُ عن السِّبَاب، وفي الإعراض عن الجاهل: صونٌ للعِرض والدِّين، ومن صفاتِ المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾.

ومَنْ غضب فعليه: أن يتذكَّرَ حِلْمَ اللَّه عليه، وأن يَخشى عقابَه؛ فَقُدْرَةُ اللَّه عليكَ أعظمُ من قدْرتِك على الخلْق، ولْيَتَذَكَّرْ ما يؤدِّي إليه الغضبُ من النَّدم والحَسْرة، ولْيَحذرْ عاقبةَ العداوة والانتقام وشماتة الأعداء بمصابه، والمؤمنُ يَستشعرُ ثوابَ العفو وحُسنَ الصَّفْحِ، وأنَّ الدُّنيا أهونُ مِن أن يَغضبَ لها.

ومَنْ لم يكن حليماً؛ فعليه أن يَدفعَ نفْسَه للحِلْم، قال الأحنف: «لَسْتُ بِحَلِيمٍ وَلَكِنِّي أَتَحَالَمُ»، وإذا خَالَفَ المرءُ ما يَأْمُرُهُ به غَضَبُه وجَاهَدَ نفْسَهُ على ذلك؛ اندَفَعَ عنه شرُّ الغضب.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ غَرَسَ الحِلْمَ؛ اجتنى ثمرةَ السِّلْم، والحِلْمُ يُعرفُ ساعةَ الغضب، وخيرُ النَّاس: بطيءُ الغضبِ، سريعُ الرُّجوع عنه، وشرُّهم سريعُ الغضب بطيءُ الرُّجوعِ للرِّضا.

ومِنْ كمال العقل: مَنْ إذا غَضِبَ لم يُدخلْه غضبُه في باطلٍ، ومَنْ إذا رضيَ لم يُخْرجْه رضاه من حقٍّ.

وإيَّاك والعجلةَ؛ فإنَّك إذا عَجِلْتَ أخطأتَ حظَّك، وكُنْ سَهْلاً لَيِّناً للقريبِ والبعيد.

والعاقلُ يَدْرَأُ عن نفْسِه غضبَ النَّاس عليه؛ من سُخريَّةٍ بهم، أو استهزاءٍ، أو تنقُّصِ مكانتهم، أو تعدي على أموالهم، أو وقوع في عِرضهم - بغِيبةٍ، أو بهتانٍ، أو افتراءٍ -.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الكَرَمُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقِبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلِمون:

اللَّهُ سبحانه غنيٌّ بذاته عمَّن سواه، وله الكمالُ المطلَقُ في ذاته وصفاته وأفعاله، أسماؤه الحُسنى بلغتِ الغايةَ في الحُسن والجمال، وصفاته العُلا بلغتِ المنتهى في العلوِّ والجلال.

ومن أسمائه سبحانه: **الكريم**؛ أعطانا ما سألناه، وأَنعَمَ علينا بما لم نَسألْه، وإذا رَفع العبدُ إليه يديه يَستحي أن يردَّهما صِفْراً خائبتين.

بابُه مفتوحٌ لمن دعاه، وأرزاقُه وخزائنُه دارَّةٌ على عباده لا تَنْقُصُ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر رجب، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بالعطاء؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا تَغِيضُهَا** - أَيْ: لَا تَنْقُصُهَا - **نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**، وَقَالَ: **أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ** - أَيْ: يَنْقُصْ - **مَا فِي يَدِهِ**» (متفق عليه).

وهو كريمٌ قريبٌ من سائليه، ليس بينه وبين عبده في طلب حوائجه حجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، ويُعطِي عبادَه فوقَ ما تَمنَّوه، وفي الحديثِ القُدْسيِّ: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» (متفق عليه).

وقد نَهَى عبدَه إذا دعاه أن يُقَلِّلَ المسألةَ؛ بل يُكْثِرُ ما شاء من سؤال اللَّه، فعطاؤُه جزيل، فأنزلْ به حوائجَك؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ؛ وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ** - يَعْنِي: يَسْأَلُهُ مَا يَشَاءُ -؛ **فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**» (متفق عليه).

وكتابه سبحانه كريم ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾، مَنْ تلاه وعَمِل به؛ أكرمه اللَّه.

وفي الأجور يُثِيبُ على العملِ الصَّالحِ القليلِ بالجزاءِ الكثير: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، ويُضاعِفُ أكثرَ من ذلك لمن يشاء، و«**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً**» (متفق عليه)، ويُجَازِي مَنْ أطاعَه في سِنيِّ الحياةِ القصيرة، بالنَّعيم المُقيم في الآخرة، ويتفضَّلُ عليهم برؤيتهم لوجهه سبحانه.

والكرَمُ صفةُ مدحٍ في الانسان، وأمارةٌ على صفاءِ القلبِ ونقاءِ السريرة، قال شيخ الإسلام ﷺ: «أُمَّهَاتُ الفَضَائِلِ: العِلْمُ، وَالدِّينُ، وَالكَرَمُ، وَالشَّجَاعَةُ»، وهو من خِصال الخير؛ لا يكون في مؤمنٍ إلَّا رَفعَهُ اللَّه به، وقد حثَّ عليه النَّبيُّ ﷺ في مَطلع قدومِه المدينة بقوله: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه الترمذي).

وهو عبادةٌ من العبادات، وأثقلُ شيءٍ في الميزان حُسنُ الخُلُق، قال الحسنُ البَصريُّ ﷺ: «حُسْنُ الخُلُقِ: الكَرَمُ وَالبَذْلُ»، وفي صبيحةِ كلِّ يومٍ يَنزل مَلَكَان «**فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» (متفق عليه)، والمُسلِمُ يُغْبَطُ على أدائه تلك العبادة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً؛ فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً؛ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**» (متفق عليه).

واللَّهُ سبحانه عليمٌ يُحِبُّ العلماء، وكريمٌ يحبُّ الكُرماء، ومحسِنٌ يحبُّ المحسِنين، والكَرَمُ من شيم الرجال ومن خصال الأبرار، وأكرمُ البشرِ هم أنبياء اللَّه؛ إبراهيم ﷺ جاءته رسُل ربه بِبُشرى في صورة بشرٍ - ولم يَعلمْ أنَّهم من الملائكة -؛ فأَحسنَ إكرامهم، وذَبحَ لهم عِجلاً سميناً، وشَوَاهُ على حجارةٍ محماةٍ، وأَسرع في تقديمه لهم: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾، وموسى ﷺ نَعَته اللَّه بأنَّه كريم: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ عن يوسف ﷺ: «**الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ**» (رواه البخاري).

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ كان أجودَ النَّاسِ وأحسنَهم عطاءً، نفْسُه كريمةٌ، ويدُه سخيَّةٌ، ما سُئِل عن شيءٍ قطُّ فقال: لا؛ سأَلَه رجُلٌ غنماً بيْن جبلين؛ فأعطاه إيَّاه، فرَجع إلى قومه وقال: «يَا قَوْمِ! أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الفَاقَةَ» (رواه مسلم)، ولبس بُرْدة فقال رجُلٌ: «اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا! - فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا -» (رواه البخاري)، وتأتيه العطايا فيُوَزِّعُها على النَّاس، وفي حُنَيْنٍ أعطى صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ مئةً من النَّعَم، ثمَّ مئةً، ثمَّ مئةً، قال صفوان: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» (رواه مسلم)، وأتاه مالٌ عظيمٌ من البَحْرَيْن - وكان أكثرَ مالٍ أُتِي به لرسول اللَّه ﷺ -، فقال: «انْثُرُوهُ فِي المَسْجِدِ، إِذْ جَاءَهُ العَبَّاسُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعْطِنِي؛ إِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلاً، قَالَ: خُذْ، فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ عَلَى كَاهِلِهِ» (رواه البخاري).

ولو عنده أكثرُ من هذا؛ لبذَلَه ابتغاءَ مرضاتِ اللَّه؛ قال ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ» (متفق عليه)؛ بل كان مِن كرَمِهِ يَعِدُ الناسَ بالمال قبْل أن يأتيَه؛ قال لجابرٍ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ البَحْرَيْنِ؛ قَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» (متفق عليه)، قال ابن رجبٍ رحمه الله: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي عَطَاءً يَعْجِزُ عَنْهُ المُلُوكُ، مِثْلُ: كِسْرَى وَقَيْصَرَ».

وأكرمُ النَّاسِ بعْد نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ: هم صحابَتُه الأفذاذ؛ أمر

النَّبيُّ ﷺ بالصَّدقة؛ فجاء عمرُ بنصفِ مالِه، وجاء أبو بكرٍ بكلِّ ماله، وعثمانُ جهَّز جيش العُسْرة؛ وقال له النَّبيُّ ﷺ مُثْنِياً عليه: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ**» (رواه الترمذي)، وضَيَّف أبو طلحةَ رضي الله عنه رجُلاً فقالت له زوجته: «مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً؛ فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ - أَوْ: عَجِبَ - مِنْ فَعَالِكُمَا**» (متفق عليه)، و«كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ» (رواه البخاري).

وللكرم أبوابٌ متنَوِّعة؛ فالإنفاقُ على النَّفْس إحسانٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا أَعْطَى اللَّهُ أَحَدَكُمْ خَيْراً؛ فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ**» (رواه مسلم)، والإنفاقُ على الزَّوجةِ والولدِ بما يَسُدُّ حاجتَهم مِنْ أعظمِ الوجوه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ؛ أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**» (رواه مسلم)، و«**إِنَّ المُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا؛ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**» (متفق عليه).

ومِنْ الكرمِ والوفاءِ: إكرامُ صديقِ الوالدين، وإكرامُ الجارِ مِنَ الإيمان، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**» (متفق عليه)، ومِنْ حُسْنِ الجِوارِ: إرسالُ الطَّعامِ إليهم، وإشراكُهم فيما

يَطْعَمُه أهلُه؛ قال ﷺ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً؛ فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» (رواه مسلم)، وضِيافةُ الضَّيفِ مِنَ المُرُوءَاتِ والأخلاقِ الكريمة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» (متفق عليه).

ومَنْ لا مالَ عنده فليكنْ كلامُه طيِّباً؛ فالكلمةُ الطَّيِّبةُ من السَّخَاء ونوعٌ من العَطَاء؛ قال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (متفق عليه)، والإحسانُ إلى الآخرين بتفريج الكُرُوبِ والهمومِ من الجُود؛ قال ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» (متفق عليه)، قال عليٌّ رضي الله عنه: «لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ القَلِيلِ؛ فَالحِرْمَانُ أَقَلُّ مِنْهُ، وَلَا تَجْبُنْ عَنِ الكَثِيرِ؛ فَإِنَّكَ أَكْثَرُ مِنْهُ».

وأكرمُ الأفعالِ ما قُصِدَ بها وجهُ اللَّه، وأعظمُ النَّاسِ كرماً أطوَعُهم للَّه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، قيل للنَّبيِّ ﷺ: «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ» (متفق عليه).

فتَحَلَّ بكرمِ المال، وكُنْ كريماً بنفْسِك وجاهِك ومالِك، واحرصْ على طاعةِ ربِّك وعبادته؛ تكُنْ من السُّعداء.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

الكرمُ غِطاءُ المَعَايِب، وهو مِنْ محاسنِ الدِّين، ودليلُ حُسن ظنٍّ باللَّه، وهو خَصلةٌ بيْن الإسرافِ والبخل؛ قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾، والمُكرَمُ مَن أَكرمَهُ اللَّهُ بالطَّاعةِ ولو كان فقيراً، والمُهَانُ مَنْ أهانَه اللَّهُ بالمعصية ولو كان غنيّاً؛ فاحرِصوا على الكرَم وتَحَلَّوْا به؛ تُفلحوا، وتَنَالُوا الخيرَ من ربِّكم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الوَفَاءُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

تَكْمُلُ النَّفْسُ البشريَّةُ بعبوديَّتها للَّه وحُسْنِ معاملتِها مع الخلْق، فشرَعَ اللَّهُ لعباده الأخذَ بمعالي الأمور، ونهاهم عن سافلِها، والوفاءُ مِنْ أُسسِ بناءِ المجتمعِ واستقامةِ الحياة، ومِنَ الأخلاقِ الكريمة، وصفاتِ النُّفوسِ الشَّريفة، وهو: الاعترافُ بالفضل، ورَدُّ الجميل لِمَنْ أَسْدَى إليك معروفاً، أو مَدَّ إليك يداً.

وأعظمُ عهدٍ يجبُ الوفاءُ به: الوفاءُ مع اللَّه؛ بأن تَعْبُدَه وحده لا

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامسَ والعشرين من شهر محرَّم، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

تشركُ به شيئاً؛ كما قال سبحانه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾، وأَوْفى الخلْقِ بهذا العهدِ الرُّسُلُ؛ قال سبحانه: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: وَفَّى جَمِيعَ مَا شُرِعَ لَهُ؛ فَعَمِلَ بِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ».

ومِنَ الوفاءِ العظيمِ: الوفاءُ للنَّبيِّ ﷺ بطاعتِه، واتِّباعِ هدْيِه، واقتفاءِ أثرِه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾.

والوفاءُ من شِيَم الرِّجال، ويدلُّ على سُموِّ النَّفْس وحُسنِ الخُلُق، وأَوْفَى النَّاسِ: رسلُ اللَّه؛ موسى عرفَ حقَّ أخيه هارونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ فسأل ربَّه أن يَجعلَه شريكاً معه في الرِّسالة ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾.

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ كان وفيّاً مع مَنْ نَصَره لإبلاغ رسالةِ ربِّه؛ منَع المُطعِمُ بنُ عديٍّ المشركين أن يُؤذُوا رسولَ اللَّه ﷺ قبل الهجرة؛ فحفِظَ له إحسانَه وقال في أُسارى بدر: «**لَوْ كَانَ الـمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيّاً ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى؛ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**» (رواه البخاري).

وكان ﷺ وفيّاً مع صحابته؛ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضلُ الصَّحابة، نصَر النَّبيَّ ﷺ بمالِه ونفْسه، وكان أكثرَ الصَّحابة صُحبةً له؛ فقال: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**» (متفق عليه).

وبعثَ النَّبيُّ ﷺ عثمانَ بنَ عفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الحديبية إلى قريشٍ في

مَكَّة، فتأخَّرَ رجوعُه إليه؛ فأمَرَ رسول اللَّه ﷺ صحابتَه بالبَيْعَة؛ فبايع النَّاسَ، ثمَّ قال - وفاءً لحقِّ عثمانَ بما قام به من خدمة الإسلام -: «إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ، فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى - وَقَالَ: هَذِه عَنْ عُثْمَان -؛ فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُثْمَانَ خَيْراً مِنْ أَيْدِيهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ» (رواه الترمذي)، وصلَّى على شهداء أُحُدٍ بعْد ثَمَانِ سِنِينَ مِن استِشهَادهم؛ كالمُودِّع لهم (متفق عليه)، وصلَّى على قبرِ جاريةٍ سوداءَ كانت تَقُمُّ المسجدَ، ولمَّا ناصرَ الأنصارُ المهاجرين دعا لهم النَّبيُّ ﷺ ولذراريهم فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ» (رواه مسلم).

ولم يُسْدِ أحدٌ من الصَّحابةِ للنَّبيِّ ﷺ معروفاً؛ إلَّا ويُكافِئُه عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا لِأَحدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَداً يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه الترمذي)، وأمَرَ بحفظِ الوُدِّ لصحابته كلِّهم بعدَ مماتِه؛ فقال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (رواه مسلم)، ووفاؤه امتدَّ إلى أُمَّتِه وذلك في الموقف العظيم، فقال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً» (متفق عليه).

وعلى هذا الخُلُقِ العظيمِ مِنَ الوفاءِ سار الصَّحابةُ ﷺ؛ فالنَّبيُّ ﷺ لمَّا قُبِض قال أبو بكرٍ للصَّحابة: «مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ، قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ البَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**؛ فَحَثَى أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً، ثُمَّ قَالَ لِي: عُدَّهَا، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُ مِئَةٍ، فَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا» (متفق عليه).

وأنفذَ أبو بكرٍ ﷺ جيشَ أسامةَ بنِ زيدٍ على شدَّةِ حاجتِه بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، وكان يقول: «لَا أَدَعُ أَمْراً رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُه إِلَّا صَنَعْتُهُ».

والصَّحابةُ ﷺ حَفِظوا لأبي بكرٍ مكانتَه وسبْقَه للإسلام؛ فاتَّفقُوا على بَيْعَتِه خليفةً لرسول اللَّه ﷺ، وأَبُو بَكْرٍ أدركَ منزلةَ عمرَ الَّتي أنزلها إيَّاه رسول اللَّه ﷺ، حيث كان النَّبيُّ ﷺ كثيراً ما يقول: «**جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»؛ فعهِدَ أبو بكرٍ بالخلافة مِن بَعده لعُمر.

والوفاءُ يعظُم مع الوالدَيْن؛ فقد تعِبا لراحتك، وسهِرَا لنومك، وكدَحَ الوالدُ لِعيشِك، وحمَلَتْكَ أمُّك كُرْهاً ووضعَتْكَ كُرْهاً، وأوَّل واجبٍ فرَضَه اللَّه من حقوقِ الخلقِ البرُّ بالوالدين؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

ومن الوفاء لهما: الدُّعاءُ لهما: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، وطاعتُهما في غير معصيةٍ، وفِعْلُ الجميلِ معهما، وإدخالُ

السُّرورِ على نفوسِهما، ومِن البِرِّ بهما: أن يريَا ثمرةَ جُهْدِهما على أولادِهما بِسلوكِهم طريقَ الاستقامة والصلاح، ومن الوفاء لهما: إكرامُ صديقِهما بعد موتِهما.

مرَّ أعرابيٌّ على ابنِ عمر رضي الله عنهما فقال له ابن عمر: «أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، قَالَ: بَلَى؛ فَأَعْطَاهُ الحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا؛ وَالعِمَامَةَ، قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ: بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ! أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَاراً كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ - أَيْ: تَأْخُذُ عَلَيْهَا رَاحَتَكَ - وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ: صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّي** - أَيْ: يَمُوتَ -، وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقاً لِعُمَرَ» (رواه مسلم).

ومن الوفاء: الوفاءُ بين الزَّوجين؛ فقد جَمعهما عقدٌ عظيم؛ قال سبحانه: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾، وخديجةُ بنتُ خويلدٍ رضي الله عنها وَاسَتِ النَّبيَّ ﷺ بمالِها، وحَفِظَتْ عَهدَه، ورُزِق منها الولد، وأوَّلُ مَن صَدَّقه وآمنَ به من النِّساء، وهي سببُ ثباتِ فؤادِه عند نزول الوحي، وقوَّةِ عزيمتِه، وكانت خيرَ زوجةٍ لزوجها في حياتها، قال ابن حجرٍ رحمه الله: «كَانَتْ حَرِيصَةً عَلَى رِضَاهُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَلَمْ يَصْدُرْ مِنْهَا مَا يُغْضِبُهُ قَطُّ».

فقابَلَ رسول اللَّه ﷺ وفاءَها بوفاءٍ أعظمَ منه، فكان في إحسانها يَشكُرُها، وظلَّ بعد موتها يُكثِرُ ذكرها، ويقول عنها: «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**» (رواه مسلم)، «وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا

فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَيَقُولُ: **إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**» (رواه البخاري)، قال النَّوَوِيُّ ﷺ: «وَفِي هَذَا كُلِّهِ دَلِيلٌ لِحُسْنِ العَهْدِ وَحِفْظِ الوُدِّ، وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالعَشِيرِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، وَإِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ».

ومن الوفاء: محبَّةُ العلماءِ وتوقيرُهم وإجلالُهم؛ إذ هم حملةُ الدِّينِ وورثةُ المرسلين، قال الطَّحاويُّ ﷺ: «وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ - مِنَ التَّابِعِينَ أَهْلِ الخَبَرِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلِ الفِقْهِ وَالنَّظَرِ - لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالجَمِيلِ»، قال الإمامُ أحمدُ ﷺ: «مَا بِتُّ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً؛ إِلَّا وَأَنَا أَدْعُو لِلشَّافِعِيِّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُ».

وللصَّاحبِ وفاءٌ يَتحقَّقُ بشكرِ أفعالِه وحفْظِ سرِّه ووُدِّه، والثَّناءِ الحَسنِ عليه، ومنْعِ وصولِ الأذى إليه، وبذْلِ النَّدَى له ولأولاده، ومَنْ صَنعَ إليك معروفاً؛ فكافِئْه عليه، فإن لم تجد ما تُكافِئُه؛ فادعُ له فإنَّه من الوفاء.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الوفاءُ صدْقُ اللِّسانِ والفعلِ معاً، ويُحدِثُ الوفاءُ في نفْسِ صاحبِه من الغِبطةِ والسُّرورِ ما لا حدَّ له، وفي نفْسِ المُوفَى له الرَّغبةَ في البِرِّ والمُجَازَاة، ومَنْ جَحَدَ معروفاً فهذا ممَّن صغُرَتْ هِمَّتُه عن الوفاء، وليَكُنِ العملُ في العطاء وغيره خالصاً لوجه اللَّه، فإنِ استَنكَف أحدٌ عن ردِّ معروفٍ أسدَيتَه فلا يحزُنك ذلك؛ فأنت تطلبُ الثَّوابَ على المعروف من اللَّه لا من البشر، مُمتثِلاً قول اللَّه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

فاحرِصوا على الوفاء؛ ففيه سلامةُ القلبِ والنَّماءُ، واجتهِدوا في التَّحلِّي بكل خُلقٍ كريمٍ، ووصفٍ حميدٍ؛ فهو عنوان الظَّفَر والفلاح.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الرَّحْمَةُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى لا يَقبلُ ربُّنا غيرَها، ولا يَرحمُ إلَّا أهلَها.

أيُّها المسلمون:

الدِّينُ قائمٌ على أداء حقوقِ اللَّه وحقوقِ خلْقِه؛ فحقُّ اللَّه: أن نَعبدَه ولا نُشركَ به شيئاً، وحقُّ المخلوقين: الإحسانُ إليهم وحُسنُ الخُلُق معهم، وخَصلةٌ عظيمةٌ جَعلها اللَّه بيْن خلقِه؛ قال عنها ﷺ: «**خَلَقَ اللَّهُ مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ، وَخَبَّأَ عِنْدَهُ مِئَةً إِلَّا وَاحِدَةً**» (متفق عليه)، قدَّمَها اللَّهُ على نعمةِ العِلْم: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسعَ والعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة ست وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وهو سبحانه يُحِبُّ مَنِ اتَّصَفَ بها، وأَثْنَى على عبادِهِ المُتواصِين بها: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾، بها يقومُ أساسُ بُنيانِ القيامِ بحقوقِ العباد من الحقوق الواجِبة؛ كالزَّكاة، أو المُستحبَّة؛ كالعَفْوِ والصَّدَقة، قال شيخ الإسلام ﷺ: «فَعَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُهُ نَفْعَ الخَلْقِ وَالإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ مُطْلَقاً، وَهَذِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الَّتِي بُعِثَ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ».

وهي مِنْحةٌ مِنَ اللَّه يهَبُها لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عبادِه؛ قال ﷺ لِأَعْرابِيٍّ جفَا عن رَحْمَةِ أولادِه: «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!**» (متفق عليه)، ومتى أراد اللَّه بعبدِه خيراً أَنزلَ في قلبِه الرَّحمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَيِ: الرَّحْمَةَ»، ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾.

ونصيبُ كلِّ عبدٍ منها على قدرِ نصيبِه من الهُدى؛ فأَكملُ المُؤمنين إيماناً أعظمُهم رحمةً؛ قال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، واللَّهُ وصَفَ المُؤمنين بقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «يَعْنِي بِالذِّلَّةِ: الرَّحْمَةَ»، وامتلاءُ القلبِ بها علامةُ السَّعادة، وهي سببُ نَيلِ رحمةِ اللَّه؛ قال ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ؛ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» (رواه أبو داود)، وممَّن يدخلُ الجنَّةَ: أقوامٌ مُلِئَت قلوبُهم رحمةً ورِقَّةً مع الإيمان؛ قال ﷺ: «**وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ**

مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» (رواه مسلم).

وقسوةُ القلبِ في فراغِه منها، ذمَّ اللَّه أقواماً فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، قال البَغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: يَبِسَتْ وَجَفَّتْ، وَجَفَافُ القَلْبِ خُرُوجُ الرَّحْمَةِ وَاللِّينِ مِنْهُ» وذلك هو علامة الشَّقاء؛ قال ﷺ: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» (رواه أبو داود).

ومَن لا يرحَمُ الخلقَ لا يَرحمُه اللَّه؛ قال ﷺ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ» (متفق عليه)، وأَنكرَ النَّبيُّ ﷺ على مَنِ استَنكَفَ عن اليسير من آثار الرَّحمة؛ قبَّل رسولُ اللَّه ﷺ الحسنَ بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعنده الأقرعُ بنُ حابسٍ التَّميميُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جالِساً، فقال الأقرع: «إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحداً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لَا يَرْحَمُ؛ لَا يُرْحَمُ» (متفق عليه)، قال ابن بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَحْمَةُ الوَلَدِ الصَّغِيرِ وَمُعَانَقَتُهُ وَتَقْبِيلُهُ وَالرِّفْقُ بِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي يَرْضَاهَا اللَّهُ وَيُجَازِي عَلَيْهَا، وَتَقْبِيلُ الوَلَدِ الصَّغِيرِ وَحَمْلُهُ وَالتَّحَفِّي بِهِ مِمَّا يُسْتَحَقُّ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ».

وأولَى النَّاسِ بالرَّحمةِ: الوالِدان؛ قال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، وخيرُ الأولادِ من كان أقربَ إلى رحمةِ والديه: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾، ورحمةُ المؤمنين فيما بيْنهم تَجعلُهم كجسدٍ واحدٍ؛ قال ﷺ: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى

لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» (متفق عليه)، والبَهائِمُ حضَّ الشَّرعُ أيضاً على رحمتِها؛ قال ﷺ: «**وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا؛ رَحِمَكَ اللَّهُ**» (رواه أحمد).

والمُؤمنُ يَرحمُ الكافِرَ؛ لفقدِه الهِداية، ويُبغِضُه؛ لعدمِ إيمانِه، ومَن زلَّت قدمُه في المعاصِي يستحقُّ الرَّحمةَ بالنُّصح، والدُّعاءِ له بالهداية؛ «أُتِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: **اضْرِبُوهُ**، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: **لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ، وَلَكِنْ قُولُوا: رَحِمَكَ اللَّهُ**» (رواه أحمد).

وأشدُّ الخلقِ رحمةً: رُسُلُ اللَّه؛ سَعَوْا لهدايةِ الخَلْق، ودعَوْا أقوامَهم بكلِّ سبيلٍ لإنقاذِهم من الهلَكَة، وصبَرُوا على أذاهم، ولم يَستعجِلُوا بطلبِ عذابِهم؛ آدمُ عليه السلام إذا رأى أهلَ النَّارِ من ذريَّته يبكِي؛ قال ﷺ في قصَّة المِعرَاج: «**قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى**» (متفق عليه).

وإبراهيمُ عليه السلام كان رؤوفاً بقومِه؛ قال لربِّه: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ولرِقَّة قلبِه جادَلَ الملائكةَ أن لا يُهلِكُوا قومَ لُوطٍ لعلَّهم يُؤمِنون.

ومُوسَى عليه السلام رحِمَ امرأتَين، فسَقَى لهما - وهو من أُولِي العزم -،

وامتدَّت رحمتُه ﷺ إلى هذه الأُمَّة؛ فحثَّ نبيَّنا مُحَمَّداً ﷺ أن يُراجِعَ ربَّه في تخفيفِ الصَّلاة عن أمَّته، فخفَّفها الرَّبُّ ﷻ من خمسين صلاةً إلى خمسِ صلواتٍ، ويحيَى ﷺ جَعله اللَّه ذا حَنانٍ؛ قال سبحانه: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾، قال ابن كثيرٍ ﷺ: «وَمَعْنَى الآيَةِ: وَآتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَتَحَنُّناً عَلَى العِبَادِ؛ لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَيَعْمَلَ عَمَلاً صَالِحاً فِي إِخْلَاصٍ».

وعيسَى ﷺ جَعله اللَّه بارّاً بوالدَتِه ولم يكُن جبَّاراً عديمَ الرَّحمة: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، ونبيٌّ من الأنبياء ضَربَه قومُه فأدمَوْه، فهو يمسحُ الدَّمَ عن وجهِهِ ويقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» (متفق عليه).

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ أَرْحمُ خلقِ اللَّه، ومن أسمائِه: «**نَبِيُّ الرَّحْمَةِ**» (رواه النسائي)، ولمَّا قيلَ له: «ادْعُ عَلَى المُشْرِكِينَ، قَالَ: **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**» (رواه مسلم)، ولمَّا آذاهُ قومُه ناداه ملَكُ الجِبال، فسلَّم عليه، وقال: «يَا مُحَمَّدُ! إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» (متفق عليه).

بعثَهُ اللَّهُ رحمةً للخلْقِ عامَّةً؛ فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، فمَن قَبِلَ هذه الرَّحمةَ، وشكَرَ هذه النِّعمةَ؛ سَعِدَ في الدُّنيا والآخرة، ومَنْ ردَّها وجحَدَها؛ خسِرَ الدَّارَيْن، بعثَه اللَّه رحمةً للمُؤمنين خاصَّةً؛ قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾.

كان شفيقاً على أُمَّته؛ «تَلَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: **اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: **يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ -، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟** فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ -، فَقَالَ اللَّهُ: **يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوؤُكَ**» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «وَهَذَا مِنْ أَرْجَى الأَحَادِيثِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، أَوْ أَرْجَاهَا».

كان رحيماً بأصحابه؛ «اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: **قَدْ قَضَى؟** قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ؛ بَكَوْا» (متفق عليه)، و«رُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَبِيٌّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ - أَيْ: يُسْمَعُ لَهَا صَوْتٌ - فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا هَذَا؟ فَقَالَ: **هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ**» (متفق عليه).

وكان ﷺ رحيماً بالشَّباب؛ قال مالِكُ بن الحُويرث رضي الله عنه: «أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقاً رَحِيماً، فَقَالَ: **ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ؛ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا**

رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؛ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ» (متفق عليه).

وكان رحيماً بالنِّساء، يُخفِّفُ الصَّلاةَ لئلَّا يَشُقَّ على الأُمِّ وولدِها؛ قال ﷺ: «**إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ**» (متفق عليه).

وكان رحيماً بالصِّبيان؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحداً كَانَ أَرْحَمَ بِالعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم)، و«كَانَ ﷺ يَخْطُبُ، فَجَاءَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ؛ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ المِنْبَرِ، فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾؛ نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا**» (رواه أحمد)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَهَذَا مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ بِالصِّغَارِ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ تَعْلِيمٌ مِنْهُ لِلْأُمَّةِ الرَّحْمَةَ وَالشَّفَقَةَ وَاللُّطْفَ بِالصِّغَارِ».

وأشدُّ هذه الأمَّة رحمةً: صحابةُ رسولِ اللَّه ﷺ؛ قال سبحانه في الثَّناءِ عليهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾، وأرحمُهم أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، جمعَ اللَّه له بين سعَة العِلم والرَّحمة، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَهَكَذَا الرَّجُلُ كُلَّمَا اتَّسَعَ عِلْمُهُ؛ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ»، وأهلُ العِلم والصَّلاح ذوو رحمةٍ يَسْعَون بالخير والهُدى للنَّاس، ولا يَظلِمُون مَن خالفَهم ولا يبغُون عليه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالشَّريعةُ وَسِعَت برحمتِها وعدلِها العدوَّ والصَّدِيق، والجزاءُ مِن جنسِ العمل، فمَن طمِعَ في رحمةِ اللَّه فلْيرحَمْ خلْقَه؛ قال ﷺ: «**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**» (متفق عليه)، ومَنْ رَحِمَهُ اللَّه؛ غمَرَتْهُ السَّعادةُ، ونالَ حُسْنَ العاقِبة في الدُّنيا والآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

يصفُو القلبُ من الكِبْرِ واحتقارِ النَّاس بتحقيق الرَّحمة، وهي وسطٌ بين القسوة والجفاء، وبين الضَّعفِ والخَوَر، والرَّأفةُ والرَّحمةُ يُحبُّهما اللَّهُ ما لم تكُن مُضيِّعةً لدينِ اللَّه؛ كدعوَى ترْك الحُدود رحمةً بالعباد، وإذا سلِمَ العبدُ من فتنةِ الشُّبُهات والشَّهوات؛ حصلَ له الهُدى والرَّحمة، قال اللَّه إخباراً عن أصحابِ الكهف: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، ومِنْ أسبابِ نوالِ الرَّحمة: بِرُّ الوالدَين، وصِلَةُ الرَّحِم، والصَّدقةُ، والإحسانُ للمكرُوبين والمرضَى، وزيارةُ الرِّجال للمقابِر، والإكثارُ من تلاوةِ القرآنِ العظيم وذكْرِ اللَّه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

مِفْتَاحُ العُبوديَّةِ للَّه وسِرُّهَا هو العِلمُ بأسماءِ اللَّهِ وصفاتِه، فأسماؤُه تعالى حُسنى وصفاتُه عُلْيَا، وله سبحانه في كلِّ اسم وصفةٍ عبوديَّةٌ خاصَّةٌ، هي من موجِبات العِلم بها ومقتضياتها، واللَّهُ يُحبُّ أسماءَه وصفاتِه، ويُحبُّ ظهورَ آثارِها في خَلْقه، فأمر عبادَه أن يدعوه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، وأحبُّ الخلْقِ إلى اللَّهِ مَنِ اتَّصفَ بالصفاتِ التي يُحبُّها ولا تختصُّ به سبحانه، ومَنْ تعبَّد اللَّهَ بصفاته؛ قَرُبَ من رَحْمَتِه.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع من شهر جمادى الآخرة، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ومَنْ أحصى أسماءه أنزله في جنَّته، ومن أسماء اللَّه: **الحَيِيّ**، ومن صفاته: الحياء، وقد وصَف اللَّهُ نفسَه بذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾، وسمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ بذلك فقال: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَيِيٌّ سَتِيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسِّتْرَ**» (رواه أبو داود)، ويستَحْيي سبحانه أن يَرُدَّ مَنْ طَلبهُ شيئاً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً**» (رواه أبو داود)، قال ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حَيَاءُ الرَّبِّ تَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ لَا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ وَلَا تُكَيِّفُهُ العُقُولُ؛ فَإِنَّهُ حَيَاءُ كَرَمٍ وَبِرٍّ وَجُودٍ وَجَلَالٍ».

ورأسُ مكارمِ الأخلاقِ في الخَلْق وأجلُّها وأعظمُها قدراً، وأكثرُها نفعاً: الحياءُ وهو خُلُقٌ يَبْعَثُ على ترْك القبائح، ويَمْنَعُ من التَّفريط في حقِّ صاحبِ الحقِّ، مبعثُه ومادَّتُه من الحياة، وعلى حسبِ حياةِ القلب؛ يكون الحياءُ فيه، وكلَّما كان القلبُ أَحْيَا؛ كان الحياءُ فيه أَتَمَّ وأقوى، ولم يَزلْ أمرُ الحياء ثابتاً واستعمالُه واجباً منذ زمان النُّبوَّة الأُولى، وما من نبيٍّ إلَّا ندَبَ أمَّتَه إليه، وبُعِثَ عليه، لم يُنسخْ فيما نُسِخَ من شرائعهم، ولم يُبَدَّل فيما بُدِّلَ منها؛ وذلك أنَّه أمرٌ قد عُلِمَ صوابُه، وبانَ فضلُه، واتَّفقتِ العقولُ على حُسنه، وما كان هذا صفتَه لم يَجُزْ عليه النَّسْخُ والتَّبديل؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» (رواه البخاري).

بالحياء اتَّصفَ خِيَارُ الخلْق، وأثنى اللَّهُ على أهْله؛ فالملائكةُ

موصوفون به، قال الرَّسول ﷺ في عثمان رضي الله عنه: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ؟**» (رواه مسلم)، والأنبياءُ عُرِفَتْ في أقوامها بذلك؛ «**يَسْتَشْفِعُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِآدَمَ وَنُوحٍ وَمُوسَى عليهم السلام؛ فَيَذْكُرُ كُلٌّ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي**» (متفق عليه)، وموسى عليه السلام حَيِيٌّ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سَتِيراً، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ**» (رواه البخاري).

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ له من ذلك النَّصيبُ الأوفر، فحياؤُه يُعرَفُ في وجهه؛ قال أبو سعيد الخُدريُّ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا - أَيْ: مِنَ البِكْرِ فِي سِتْرِهَا -، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ» (متفق عليه)، وتردَّدَ النَّبيُّ ﷺ ليلةَ المِعْرَاج بين موسى عليه السلام وربِّه يسألُه التَّخفيفَ في الصلاة حتى قال: «**قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي**» (متفق عليه)، و«لَمَّا بَنَى النَّبِيُّ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ؛ دُعِيَ النَّاسُ لِذَلِكَ، فَطَعِمُوا وَخَرَجُوا، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي البَيْتِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ شَيْئاً، فَخَرَجَ وَتَرَكَهُمْ فِي البَيْتِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾» (متفق عليه).

وعثمانُ رضي الله عنه المثَلُ في الحياء بين الصَّحابة؛ دخل يوماً على النَّبيِّ ﷺ فجلس النَّبيُّ ﷺ وسوَّى ثِيابه، فسُئلَ عن ذلك؛ فقال: «**إِنَّ**

عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ» (رواه مسلم).

والمَرأةُ جُبِلَتْ على الحَيَاء، وبه زينتُها وجَمَالُها، وهو لها حِصْنٌ وأَمَانٌ؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحْيِي؟ قَالَ: **رِضَاهَا** - أَيْ: فِي النِّكَاحِ -: **صَمْتُهَا**» (رواه البخاري)، وابنةُ صاحبِ مَدْيَنَ جاءت تمشي وقد غَمَرَهَا جلبابُ الحياء، وَسَتَرَتْ وجْهَها بيدها وثوبها؛ قال سبحانه: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾، وعائشةُ أُمُّ المُؤْمِنين رضي الله عنها بلغ بها الحياء أن تَحْتَشِم في حُجرتها؛ حياءً من عمر رضي الله عنه بعد دفْنِه، قالت رضي الله عنها: «كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي، فَأَضَعُ ثَوْبِي، فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمَا؛ فَوَاللَّهِ! مَا دَخَلْتُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي؛ حَيَاءً مِنْ عُمَرَ» (رواه أحمد).

وامرأةٌ صبرتْ على البلاء ولم ترضَ بنزع الحياء، فكان لها الجَنَّة؛ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما لِعَطَاء بن أبي رَبَاح رحمه الله: «أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: **إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**، فَقَالَتْ: بَلْ أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ؛ فَدَعَا لَهَا» (متفق عليه).

وهو من الأخلاق الكريمة الَّتي بقي عليها أهلُ الجاهليَّة؛ قال أبو سفيان رضي الله عنه لَمَّا سأله هِرَقْل عن النَّبيِّ ﷺ - وهو يومئذٍ على الكُفْر -: «وَاللَّهِ لَوْلَا الحَيَاءُ يَوْمَئِذٍ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحَابِي عَنِّي الكَذِبَ كَذَبْتُ عَنْهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ، وَلَكِنِ اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الكَذِبَ عَنِّي فَصَدَقْتُهُ» (متفق عليه).

بالحياء نَيْلُ السَّعادةِ وإدراكُ أسبابِها وهو خيرٌ كلُّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**، أَوْ قَالَ: **الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**» (رواه مسلم)، وعاقبةُ صاحبِه إلى خيرٍ، ولا يَلحَقُه ندمٌ فيه البَتَّةَ؛ قال الرَّسُول ﷺ: «**الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**» (رواه مسلم)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «الحَيَاءُ: مَادَّةُ الحَيَاةِ لِلْقَلْبِ، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الخَيْرِ أَجْمَعِهِ».

ومن أعظم الخير فيه: تعويدُ النَّفْس على الخصال الحَمِيدَة، ومُجَانَبَةُ الخِلالِ الذَّمِيمَة، وإذا اشتدَّ حياءُ المرء؛ صَانَ عِرضَه، ودفعَ مساوِيَه، ونشَر محاسنَه.

ومن عقيدة أهْل السُّنَّة والجماعة: أنَّ الإيمانَ قولٌ واعتقادٌ وعملٌ، والحياءُ شُعبةٌ منه؛ قال الرَّسُول ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: سِتُّونَ - شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**» (متفق عليه)، قال ابن حبَّان رحمه الله: «الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالمُؤْمِنُ فِي الجَنَّةِ، وَمَا نُزِعَ الحَيَاءُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِنَزْعِ إِيمَانِهِ»، و«مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحِي حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَّ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **دَعْهُ؛ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**» (متفق عليه)، وما عاقب

اللَّهُ قلباً بأشدَّ مِنْ أن يَسلُبَ منه الحياء، قال ابن عمرُ رضي الله عنهما: «إِنَّ الحَيَاءَ وَالإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعاً، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ».

الحياءُ طاعةٌ تَبعثُ على طاعاتٍ، وينتهي بصاحبه في الورع، ومَنْ أَخَلَّ به فعَلَ نَقِيضَ ذلك، ومِنْ أكبرِ ما يَحولُ بيْن المَرْء وركوبِ المعاصي: الحياءُ، والمُسْتَحْيِي ينقطعُ بالحياء عن المعاصي؛ كما ينقطعُ بالإيمان عنها، فإذا سُلِبَ من العبد الحياءُ؛ لم يَبق له ما يَمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدَّنيئة؛ قال الرَّسُول ﷺ: «**إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ؛ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**» (رواه البخاري)، قال ابن عبد البَرِّ رحمه الله: «مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيَاءٌ يَحْجِزُهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ؛ فَسَوَاءٌ عَلَيْه فِعْلُ الصَّغَائِرِ وَالكَبَائِرِ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّحْذِيرِ وَالوَعِيدِ عَلَى قِلَّةِ الحَيَاءِ».

والذُّنوبُ تُضعِفُ الحياءَ من العبد حتى رُبَّما انْسَلَخ منه بالكُلِّيَّة، فلا يتأَثَّرُ بعِلم النَّاس بحاله، ولا باطِّلاعهم عليه؛ بل قد يُخبِرُ عن حالِه وقبيحِ فعاله.

في الحياء زينةٌ وجمالٌ لصاحبه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَلَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ** - أَيْ: زَيَّنَهُ -» (رواه الترمذي)، وهو دَاعٍ لِعِزَّة النَّفْس وصيانَتِها، فلا يَسألُ النَّاسَ شيئاً وإن احتاج لذلك؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الأُكْلَةُ وَالأُكْلَتَانِ؛ وَلَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنًى وَيَسْتَحْيِي، أَوْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ إِلْحَافاً**» (متفق عليه).

والحياءُ حادٍ على حُسْن الأَدب؛ سأل النَّبيُّ ﷺ عن شجرةٍ تُشْبِهُ المسلمَ، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ»، وفي لفظٍ: «فَاسْتَحْيَيْتُ» (متفق عليه).

والجزاءُ من جنسِ العمل، ومن ثمار الحياء وحسنِ جزائه: حياءُ اللَّه من أهله؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا؛ فَاسْتَحْيَا اللَّهُ** جل جلاله **مِنْهُ**» (متفق عليه)، ورأسُ الحياء: ما كان حياءً من اللَّه؛ لئلَّا يراك حيث نهاك، ولا يَفتقدَك حيث أمرك، فاللَّهُ أحقُّ أن يُسْتَحْيَا منه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ**» (رواه الترمذي)، والحياءُ من اللَّه: نورٌ يقعُ في القلب، يريه ذلك النُّورُ أنَّه واقفٌ بين يدي ربِّه جل جلاله؛ فيستحيي منه في خَلَوَاتِه وجَلَوَاتِه، ويتحقَّقُ الحياءُ من اللَّه بمطالعة مِنَنِهِ، وعظيم نِعَمِه، مع استحضار عيْب النَّفْس وتقصيرها، وأنَّه مُطَّلِعٌ على السِّرِّ وأخفى.

وإذا عَلِم العبدُ بنظرِ اللَّهِ سبحانه إليه، وأنه بِمَرْأًى منه ومَسْمَعٍ وكان حَيِيّاً؛ اسْتَحْيَا أن يَتعرَّضَ لِمَساخطِه، ومع الإنسان ملائكةٌ لا تُفَارِقُه، ومن إكْرَامِهم: الحياءُ منهم؛ قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «أَي: اسْتَحْيُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الحَافِظِينَ الكِرَامِ، وَأَكْرِمُوهُمْ وَأَجِلُّوهُمْ أَنْ يَرَوْا مِنْكُمْ مَا تَسْتَحْيُونَ أَنْ يَرَاكُمْ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ».

والحياءُ من النَّاس باعثٌ على الفضائل، ولو أنَّ المسلمَ لم يُصِبْ من الجليس الصَّالح إلَّا أنَّ حياءَه منه يَمنعه المعاصي لَكَفى، وهو خيرُ عونٍ لصاحبه على الحياء من اللَّه، وَمَنْ لا يستحيي من الناس؛ لا يستحيي من اللَّه، ومن جَالَسَ أهلَ الحياء؛ تَجدَّدَ حياؤُه، وأَولى مَنْ يُكرِمُ المرءَ: نفسُه، ومَنْ عَمِلَ في السِّرِّ عملاً يَستحيي منه في العلانية؛ فلا قدرَ لنفْسِه عنده، ومن استحيا من النَّاس ولم يستحي من نفْسِه: فنفسُه أهونُ عنده من غيره، ومَنِ استحيا منهما ولم يستحي من اللَّه: فما عرف ربَّه، ومَنْ كساه الحياءُ ثوبَه؛ لَمْ ير النَّاسُ عيبَه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالإسلامُ دينُ المحامدِ والمكارم، جَمَعَ من الأخلاق أحسنَها، ومن الأوصاف أعلاها، ما من خيرٍ إلَّا أَمَرَ به، وما من شرٍّ إلَّا حذَّر منه، وواجبٌ التَّمسُّكُ به، والاعتزازُ به، ودعوةُ النَّاس إليه، وحَتْمٌ علينا ملازمةُ الحياء من اللَّه بامتثال أوامره واجتناب معاصيه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الحياءُ المَمْدُوحُ من النَّبيِّ ﷺ هو: الخُلُق الذي يَحْمِلُ على فِعْلِ الجميل وترْكِ القبيح، أمَّا الضَّعْفُ والعجزُ الذي يُوجبُ التَّقصيرَ في شيءٍ من حقوق اللَّه أو حقوق عباده؛ فليس من الحياء في شيءٍ، وإذا مَنَعَ صاحبَه من خيرٍ؛ لم يكن ممدوحاً، قالت عائشة رضي الله عنها: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ؛ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ عَنِ الدِّينِ، وَيَتَفَقَّهْنَ فِيهِ» (رواه مسلم)، ولا حياءَ في تعلُّم الدِّين، ومَنْ ترَكَ العِلمَ حياءً؛ بقي أبدَ الدَّهرِ في جهْله محروماً، قال مجاهد رحمه الله: «لَا يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الأَخْلَاقُ المَذْمُومَةُ

الكِبْـــرُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى في مخالفة الهَوَى، والشَّقاءُ في مُعَارَضَةِ الهُدَى.

أيُّها المسلمون:

صلاحُ ابنِ آدمَ في الإيمان والعمل الصَّالح، والسَّعيُ في إصلاح القلب؛ أفضلُ مِنْ نوافلِ العبادات، وأعمالُ القلوبِ في الثَّوابِ والعقابِ كأعمال الجوارح؛ يُثابُ على الموالاة والمعاداة في اللَّه، وعلى التَّوكُّل والرِّضا والعزم على الطَّاعة، ويُعاقَبُ على الكِبر والحسد والعُجب والرِّياء، وكلَّما ازداد العبد تواضعاً وعبوديةً للَّه؛ ازداد إلى اللَّه قرباً ورِفعةً.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الأول من شهر رجب، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وأصلُ الأخلاقِ المذمومة كلِّها: الكِبرُ والاستعلاء؛ به اتَّصف إبليسُ فحَسَدَ آدمَ واستكبرَ وامتنع من الانقياد لأمرِ ربِّه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وبه تخلَّفَ الإيمانُ عن اليهود الذين رأوا النَّبيَّ ﷺ، وعَرَفُوا صِحَّةَ نُبوَّتِه، وهو الَّذي مَنَعَ ابنَ أَبي سَلُولٍ مِنْ صِدْقِ التَّسليم، وبه تخلَّف إسلامُ أَبي جهلٍ، وبه اسْتَحبَّتْ قريشٌ العَمَى على الهُدَى؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ودعا سليمانُ عليه السلام بَلْقِيس وقومَها إلى نَبْذِ الاستعلاء وإلى الإذعان: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾، وهو سببٌ للفُرقة والنِّزاع والاختلاف والبَغضاء؛ قال سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾، وبسببه تنوَّعتْ شنائعُ بني إسرائيل مع أنبيائهم بين تكذيبٍ وقتلٍ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وهو من أوصاف أهل النِّفاق: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

وعُذِّبَتِ الأُممُ السَّالفةُ لاتِّصافِهم به؛ قال تعالى عن قوم نوحٍ: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾، وقال عن فرعونَ وقومِه: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾، وقال عن قوم هُودٍ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾.

المُستكبِرونَ هُمْ أعداءُ الأنبياءِ وأتباعِهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾، وموسى عليه السلام استعاذ باللَّه منهم، قال جل وعلا: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾.

المُتكبِّرُ متَّبعٌ لهواه، يَنظرُ إلى نفْسه بعين الكمال وإلى غيره بعين النَّقص، مطبوعٌ على قلبه، لا يَقبلُ إلَّا ما يهوى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾، واللَّهُ تعالى يُبْغضه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾.

المتَّصِفُ بالكِبر مصروفٌ عن الاعتبار والاتِّعاظ بالعِبر والآيات: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾، والمُسْتكبِرُ عن الحقِّ يُبتلى بالانقياد للباطل، وقد تُعجَّلُ له العقوبةُ في الدُّنيا؛ فقد شُلَّتْ يدُ رجُلٍ في عهد النُّبوَّة بسبب الكِبْر؛ يقولُ سلمةُ بنُ الأكوعِ رضي الله عنه: «إِنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: **كُلْ بِيَمِينِكَ**، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: **لَا اسْتَطَعْتَ**، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ - قَالَ الرَّاوِي -: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ» (رواه مسلم)، وقد خُسِفَتِ الأرضُ بمتكبِّرٍ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ؛ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» (متفق عليه).

وفي الآخرة يُعامَلُ بنقيض قصْده؛ فمَن يَترفَّعْ عن النَّاس في الدُّنيا؛ يَطأْهُ الناس بأقدامهم في الآخرة، يقول المصطفى ﷺ: «**يَبْعَثُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاساً فِي صُوَرِ الذَّرِّ، يَطَؤُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ، فَيُقَالُ: مَا**

هَؤُلَاءِ فِي صُوَرِ الذَّرِّ؟ فَيُقَالُ: هَؤُلَاءِ المُتَكَبِّرُونَ فِي الدُّنْيَا» (رواه البزار)، قال في نوادر الأصول: «كُلُّ مَنْ كَانَ أَشَدَّ تَكَبُّراً؛ كَانَ أَقْصَرَ قَامَةً فِي الآخِرَةِ، وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ كُلُّ مَنْ كَانَ أَشَدَّ تَوَاضُعاً لِلَّهِ؛ فَهُوَ أَشْرَفُ قَامَةً عَلَى الخَلْقِ»، ومَنْ حمَل في قلبه ولو شيئاً يسيراً من الكِبر؛ حُرِم عليه دخولُ الجَنَّة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» (رواه مسلم)، والنَّار دارٌ لهم: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، ويقول ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» (متفق عليه)، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «احْتَجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ - أَيِ: النَّارُ -: يَدْخُلُنِي الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ - أَيِ: الجَنَّةُ -: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالمَسَاكِينُ» (رواه مسلم).

أيُّها المسلِمون:

الكبرياءُ من خصائص الرُّبوبية لا يُنازَعُ فيه، ومَنِ اتَّصفَ به من المخلوقين؛ عذَّبه اللَّه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ في الحديثِ القُدْسيِّ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: العِزُّ إِزَارِي، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَائِي؛ فَمَنْ نَازَعَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ» (رواه مسلم)، واللَّه ﷻ هو **المُتكبِّر**؛ قال سبحانه عن نفْسه: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾، والإسلامُ حَمَى جَنابَ الكبرياءِ والعظمةِ للَّه، وحرَّم كلَّ طريقٍ ينازعُ الرَّبَّ في كِبْرِيائِه؛ فمنَع لُبْسَ الذَّهب والحرير للرَّجُل؛ لكونِهما مَدْعَاةً للكِبر والخُيَلَاء، وتوعَّدَ المسبِلَ إزارَه بالعذاب؛ فقال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ» (رواه مسلم)، ونهى عن ميل الخَدِّ والإعراض به تعاظماً على الآخرين، ولَمْ يأذن بِمِشْيَة الخُيَلاء تَبَخْتُراً في غير الحرب؛ قال ﷻ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، ونهى عن التَّشدُّق في الكلام اعتزازاً؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ، وَالمُتَشَدِّقُونَ، وَالمُتَفَيْهِقُونَ**» (رواه الترمذي).

فانزِعْ عنك رداءَ الكبرِ والتَّعاظُم؛ فإنَّهما ليسا لك؛ بل هما للخالق، والْبَسْ رداء الانكسار والتَّواضع، فما دَخلَ قلبَ امْرِئٍ شيءٌ من الكِبْر قطّ؛ إلَّا نَقصَ مِنْ عقلِه بقدر ما دَخل من ذلك أو أكثر، ومَنْشَأُ هذا من جهل العبد بربِّه وجهْلِه بنفْسه، فإنَّه لو عَرف ربَّه بصفات الكمال ونعوت الجلال، وعَرف نفْسه بالنَّقائص والآفات لم يَسْتَعْلِ ولم يَأْنَف؛ يقول سفيان بن عُيَيْنَة رحمه الله: «مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الكِبْرِ فَاخْشَ عَلَيْهِ؛ فَإِبْلِيسُ عَصَى مُتَكَبِّراً فَلُعِنَ».

والعذابُ يقعُ على مَن تَغلغلَ ذلك في قلبه، وتكونُ خِفَّتُه وشِدَّتُه بحسب خِفَّتِها وشِدَّتها، ومَنْ فَتحها على نفْسه؛ فَتح عليه أبواباً من الشُّرور عديدةً، ومَنْ أَغلقها على نفْسه؛ فُتحت له - بإذن اللَّه - أبوابٌ من الخيرات واسعةً، والكِبرُ المباينُ للإيمان لا يَدخلُ صاحبُه الجَنَّة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، ومِنَ الكِبْر ما هو مباينٌ للإيمان الواجب، بل كِبْره يُوجِبُ له جَحْدَ الحقِّ واحتقارَ الخَلْق؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ**

كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ؛ الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» (رواه مسلم)، ولا تَفْخَرْ على أحدٍ فدنياك زائلةٌ؛ يقول ﷺ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» (رواه البخاري).

أيُّها المسلمون:

في التَّواضع رِفعةُ الدُّنيا والآخرة؛ يقول ﷺ: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (رواه مسلم)، وهو من أخلاق الأنبياء وشِيَم النُّبلاء؛ موسى عليه السلام رَفع الحجرَ لامرأتين أبوهما شيخٌ كبيرٌ، وداود عليه السلام كان يَأكلُ من كسْب يده، وزكريا عليه السلام كان نجَّاراً، وعيسى عليه السلام يقول: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، و«مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، ونبيُّنا ﷺ كان رقيقَ القلب، رحيماً خافضَ الجناح للمؤمنين، ليِّنَ الجانب لهم، يَحملُ الكَلَّ ويَكْسِب المعدوم، ويُعين على نوائب الدَّهر، وركب الحمار وأَردف عليه، ويُسَلِّمُ على الصِّبْيَان، ويَبدأُ مَنْ لَقِيَه بالسَّلام، ويُجيبُ دعوة من دعاه ولو إلى ذِراعٍ أو كُراعٍ، ولمَّا سُئِلتْ عائشة رضي الله عنها: «مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي: خِدْمَةَ أَهْلِهِ -، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؛ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (رواه البخاري).

التَّواضعُ سببُ العدلِ والأُلفةِ والمَحبَّةِ في المجتمع؛ يقول ﷺ: «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا

يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» (رواه مسلم)، المُتواضعُ مُنكَسِرُ القلبِ للَّه، خافضٌ جناحَ الذُّلّ والرَّحمة لعباده، لا يَرى له عند أحد حقّاً؛ بل يرى الفضلَ للنَّاس عليه، وهذا خُلُقٌ إِنَّما يُعطيهِ اللَّهُ مَن يُحِبُّه ويُقَرِّبُه ويُكْرِمُه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فأكرمُ التَّواضعِ بعد حقِّ اللَّه: التَّواضعُ في جَنْب الوالدين؛ ببرِّهما وإكرامهما، وطاعتِهما في غير معصيةٍ، والحُنُوِّ عليهما، والبِشْرِ في وجههما، والتَّلَطُّفِ في الخطاب معهما، وتوقيرِهما والإكثار من الدُّعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما؛ قال ﷻ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، والاسْتِنْكَافُ عن أوامرهما والاستكبارُ عليهما، والتَّأَفُّفُ من قضاء حوائجهما؛ ضربٌ من الكِبْر والعُقُوق، مُتَوَعَّدٌ صاحبُه بدخول النَّار.

وتَواضَعْ للدِّين ولا تُعارِضْه برأيٍ أو هوًى، ولا تُعْرِضْ عن تَعلُّمِه والعَمَلِ به، ومَنْ أَسْدَى إليك نُصحاً؛ فاقبلْه واشْكُرْ قائله، ومَنْ أمرَكَ بمعروفٍ أو نهاك عن منكَرٍ؛ فامتثلْ لِرُشْده؛ فالحَظْوَةُ في التَّواضع للطَّاعة، يقول الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّوَاضُعُ: أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ»، وقال رجُلٌ لمَالِك بن مِغْوَلٍ: «اتِّقِ اللَّهَ! فَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الأَرْضِ».

والمُعلِّم والمُتعلِّم يتواضعان لبعضهما مع توقير المعلِّم، ولقد كان شيخُ المُحدِّثين أبو موسى المَدِينيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقْرِئُ الصِّبْيَانَ القرآنَ في الألواحِ معَ جلالةِ قَدْرِه وعُلُوِّ منزلتِه، وتواضعْ للمَرْضَى بعيادتهم والوقوف بجانبهم وكشْفِ كُربتهم، وتذكيرهم بالاحتساب والرِّضا والصَّبر على

القضاء، وأَلِنْ جانبك لذوي الفَقْر والمَسْكَنة، وتصفَّحْ وجوه الفقراء والمحاويج وذوي التَّعَفُّفِ والحياء في الطَّلب، وَوَاسِهم مِنْ مالِك، وتواضعْ لهم في حَسَبِك، يقول بِشْر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ: «مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ غَنِيٍّ جَالِسٍ بَيْنَ يَدَيْ فَقِيرٍ».

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

يُحِبُّ اللَّه تَواضُعَ العبدِ عند أَمْرِه امتثالاً وعند نَهْيِه اجتناباً، والشَّرفُ يُنالُ بالخُضوع والاستكانةِ للَّه والتَّواضُعِ للمسلِمين، ولِينِ الجانبِ لهم، واحتمالِ الأذى منهم والصَّبرِ عليهم؛ قال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، كلُّ ذلك مع التَّشاغلِ بتلاوة كتاب اللَّه، والنَّظر في الأحاديث، مع حُسن الخُلُق وبذْلِ المعروف وكفِّ الأذى، وترْكِ الغيبة والنَّميمة، وعاملِ النَّاس معاملة إيثارٍ لا استئثارٍ.

والمتواضعُ مَنْ إذا رأى أحداً؛ قال: هذا أفضلُ منِّي، يقول الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَرْفَعُ النَّاسِ قَدْراً؛ مَنْ لَا يَرَى قَدْرَهُ، وَأَكْبَرُ النَّاسِ فَضْلاً؛ مَنْ لَا يَرَى فَضْلَه»، وإذا أَنْعَمَ اللَّهُ عليك بنعمةٍ فاستقبِلها بالشُّكر والاستكانة، قال عبد اللَّه بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَأْسُ التَّوَاضُعِ أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ عِنْدَ مَنْ هُوَ دُونَكَ فِي نِعْمَةِ الدُّنْيَا، حَتَّى تُعْلِمَهُ أَنْ لَيْسَ لَكَ بِدُنْيَاكَ عَلَيْهِ فَضْلٌ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الحَسَدُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عباد اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقِبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

صلاحُ الجوارحِ بصلاح القلب، وأعمالُ القلوب في الثَّواب والعقاب كأعمال الجوارح، يُثابُ على الموالاة والمعاداة في اللَّه، ويُعاقَبُ على الحسد والفخر والرِّياء.

وإصلاحُ القلبِ أفضلُ من نوافل العبادات، ولا يَنالُ المسلِمُ الكمالَ إلَّا بزوال ما في قلبه من الحسدِ والأَضْغَان، وسلامةُ الصَّدرِ من صفاتِ الأنبياء؛ قال اللَّهُ مُمتدِحاً خليلَه عليه السلام: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وشُقَّ صدرُ النَّبيِّ ﷺ مرَّتين؛ مرةً في صِباه وأُخرِجَ منه العَلَقة،

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شهر صَفَر، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وشُقَّ مرةً أخرى قبل الإسراء، وغُسِلَ قلبُه في طَستٍ من ذهب بماء زمزمٍ.

ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ مُعلِّماً أمَّته: «**وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي** - أَيْ: حِقْدَهُ -» (رواه أبو داود).

وأَثنى اللَّهُ على الأنصار بسلامة صدورهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: ما أُوتِي إخوانُهم المهاجرون من فضْلٍ، وأَخبر عن الصَّالحين مِنْ بعدِهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وهو من أسباب دخول الجَنَّة؛ قال النَّبيُّ ﷺ للصَّحابة رضي الله عنهم: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ - فَسَأَلُوهُ عَنْ عَمَلِهِ - فَقَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ غِشّاً، وَلَا أَحْسُدُ أَحَداً عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» (رواه أحمد).

وكان السَّلف يَسْعَوْنَ لسلامةِ صدورهم فنُعِتوا بذلك، قال ابن كثيرٍ وَاصِفاً قرينَه ابن القيِّم رحمهما الله: «كَانَ حَسَنَ القِرَاءَةِ وَالخُلُقِ، وَكَثِيرَ التَّوَدُّدِ؛ لَا يَحْسُدُ أَحَداً وَلَا يُؤْذِيهِ وَلَا يَسْتَعِيبُهُ، وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ».

ولا يَنفعُ يومَ القيامةِ إلَّا سلامةُ الصَّدرِ مع الإيمان؛ قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، واللَّهُ سبحانه فضَّلَ عبادَه بعضَهم على بعضٍ في العطاء؛ عدلاً منه وفضلاً؛ لِيَظهرَ صبرُهم وشكرُهم؛ قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾.

والحسدُ خُلُقٌ ذميمٌ ونَعْتٌ دنيءٌ، يَقصِد به الحاسد ذوي الفضائل والنِّعَم، اتَّصفَ به إبليسُ فامتنع أن يَسجدَ لآدمَ حسداً له: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾، فكان أوَّلَ ذنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ به في السَّماء، وهو مِنْ صفاتِ اليهودِ والنَّصارى؛ قال ﷻ: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾، وهو مِنْ أقوالِ مرضى القلوب؛ قال ﷻ: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ﴾، وقد يُؤدِّي بِصاحبِه إلى الكُفر باللَّه؛ قال ﷻ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

ويتمنَّى به غيرُ المسلِم إخراجَ أهلِ الإسلام عن دينهم؛ قال ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾.

وقد يَمْنَعُ من الدُّخول في الإسلام؛ قال المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ لأَبِي جَهْلٍ: «هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَ مُحَمَّداً بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ! لَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِينَا وَهُوَ شَابٌّ يُدْعَى الأَمِينُ، فَمَا جَرَّبْنَا عَلَيْهِ كَذِباً قَطُّ، قَالَ: فَمَا لَكُمْ لا تَتَّبِعُونَهُ؟ قَالَ: تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو هَاشِمٍ الشَّرَفَ، فَأَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا، وَسَقَوْا وَسَقَيْنَا، وَأَجَارُوا وَأَجَرْنَا، حَتَّى إِذَا تَجَاثَيْنَا عَلَى الرُّكَبِ وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ، فَمَتَى نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟ وَاللَّهِ! لَا نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نُصَدِّقُهُ أَبَداً».

وقد يَقتلُ الحاسدُ المَحْسُود؛ قال سبحانه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾.

وهو فتنةٌ لقلوبِ الناس؛ قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾، قال ابن رجبٍ رحمه الله: «الحَسَدُ مَرْكُوزٌ فِي طِبَاعِ البَشَرِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ دَفَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ».

وهو مُنافٍ لكمال الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ: الإِيمَانُ وَالحَسَدُ**» (رواه النسائي)، وقد حذَّر النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَه من هذا الدَّاء، فقال: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا**» (متفق عليه).

الحسدُ مَنبعُ الشُّرور، ويُوجِبُ الظُّلْم، ويُورِثُ القَطِيعَة، قال ابن عقيلٍ رحمه الله: «اعْتَبَرْتُ الأَخْلَاقَ - أَيْ: تَأَمَّلْتُهَا -، فَإِذَا أَشَدُّهَا وَبَالاً: الحَسَدُ».

والحاسدُ ضعيفُ النَّفْس، كلُّ نعمةٍ على غيره يراها عظيمةً، مُبغِضٌ لنِعَم اللَّه على عباده، يَتألَّمُ من فضيلةٍ تَظْهر، أو منقبةٍ تُشكَر، إنْ رأَى فضْلَ اللَّه على خَلْقه اغتمَّ، وإن عايَنَ زَوالَها سُرَّ، فلا راحة لحاسدٍ؛ يَفرحُ لحَزَنِ النَّاس، ويَحْزَن لِفرحهم، لا يرى قضاءَ اللَّهِ عدلاً، ولا لِنِعَمِهِ على النَّاس أهلاً، ولِسانُه يُخرِجُ سوادَ قلبه؛ قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾، قال معاوية رضي الله عنه: «إِيَّاكَ وَالحَسَدَ! فَإِنَّهُ يَتَبَيَّنُ فِيكَ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ فِي عَدُوِّكَ»، يُرْدِي صاحبَه ويقُودُه إلى الذُّلِّ والمَهانة؛ كما حَصَلَ لإخوةِ يوسفَ حينما طلبوا من أخيهم الذي حَسدوه الصَّدقةَ عليهم، قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾.

ليس في خِصال الشَّرِّ أَعْدَلُ من الحسد؛ يَنْتَقِمُ الحَاسِدُ من نفْسِه بنفْسِه قبل أن يَصِلَ إلى المحسود، ومَنْ رأى حالَ الحاسدِ في همِّه وغمِّه وكمَدِه؛ أَشْفَقَ عليه، والحاسدُ اشتَغل بما لا يعنيه، فأضاع ما يعنيه.

الحسدُ رِفعةٌ للمحسود؛ إذ النُّفوسُ لا تَحسُد إلَّا العظيم، وكم مِنْ نعمةٍ خافيةٍ أَظهرها حسودٌ، وكم مِنْ عبدٍ أُثنِي عليه بعد أن حُسِد، حُسِدَ هابيل ابن آدم فبقيَ ذِكرُه يُثنَى عليه في كِتاب اللَّه.

وبِحَسَبِ فضْلِ الإنسانِ، وظهور نِعَم اللَّه عليه؛ يَكثُر حَسدُ النَّاس له، وأعظمُ نعمةٍ يُحسَد المرءُ عليها: هي نعمة الإسلام؛ قال سبحانه: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾، والنَّبيُّ ﷺ حُسِد على القرآن: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

والمحسودُ مظلومٌ مأمورٌ بالصَّبر والتَّقوى والعفو والصَّفح؛ قال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، ويوسف عليه السلام قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾.

ونارُ الحاسد تُطفَأُ بالإحسان إليه، وكلما ازداد شرُّ الحاسد؛ فزِدْه إحساناً ونُصحاً وشفقةً عليه، والحسدُ يَمنعُ كمالَ الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» (متفق عليه).

والحسدُ معصيةٌ يَجِبُ على المسلِم أن يتوبَ منها، وأن يَرضى بالقضاء، ويَستسلمَ للمقدور، ولا يُعارِضَ اللَّهَ في أمره، ويَفرحَ بكرم اللَّه على عباده، ويَدْفعَ عن قلبه تلك المعصية؛ طاعةً للَّه وخوفاً من عقابه، وبُعداً من أن يَكْرَه نِعمَ اللَّهِ على عباده، وأن يَنْظرَ إلى من هو دونه، ويتذكَّرَ نِعَمَ اللَّهِ عليه، ويَقْنَعَ بعطاء اللَّه له، فكلُّ حاسدٍ محسودٌ، وأن يتعوَّذَ باللَّه من الحسد، ويُبادرَ إلى الدُّعاء للمحسود، ويَتمنَّى زيادةَ الخير لأخيه المسلِم، ومَنْ أَعطى غيرَك نعمةً؛ قادرٌ أن يُعطِيَك مثلها وأكثر منها: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

والغِبْطَةُ حقّاً في عطاءِ درجات الآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

أحبُّ القلوبِ إلى اللَّه: أرقُّها وأصفاها، ولا أَهْنَأَ حياةً من مؤمنٍ سليم الصَّدر؛ إنْ رأى نعمةً ساقها اللَّهُ إلى أخيه فَرِح، ورأى فضْلَ اللَّهِ فيها، وفَقْرَ عبادِه إليها، وما عادى أحدٌ مسلماً فأفلح، وفي الرِّضا بما قَسَمَه اللَّه سلامةٌ للقلب، وكلَّما كان العبدُ أشدَّ رضاً؛ كان قلبُه أَسلم.

وعلى المرءِ أن يَقْهَرَ نفسَه عن مذمومِ خُلُقِها، ويَحْجِزَها عن لَئِيم طَبْعِها، وجِماعُ الطرق التي يُصانُ منها القلب: الحِرصُ، والشَّهْوَة، والغضب، والحسد.

ومَن أحبَّ أن يُنعِمَ اللَّهُ عليه؛ فلا يَلتفتْ إلى أحوالِ النَّاس، وَلْيَجْعَلْ صدرَه سليماً، ومَنْ نَظر إلى ذنوبه؛ استَكثَرَ ما هو فيه من النِّعَم، وما حَفظَ عبدٌ نعمةَ اللَّهِ عليه بمثل شُكرِها، ولا عَرَّضَها للزَّوال بمثل عِصيانِ اللَّه بها.

فسارعوا إلى شُكرِ نِعَمِه عليكم يَزِدْكم من فضلِه، ويَهَبْ لكم من الخير ما تَسعدون به في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الظُّلْمُ [(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقِبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الإنسانَ وفَطَرَ فيه خِصالاً حميدة، وأَمَره بالسَّير والثَّبات عليها: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وفيه صفاتٌ مذمومةٌ أَمَره بمجاهدة نفْسه وهواه منها، فيه خصلةٌ إن أَرخى لنفسه العنانَ لها هلك: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

والنَّفْسُ السَّليمةُ تَحْذَرُ الظُّلْمَ والطُّغيان، وتتَّصفُ بالعدل والتَّقوى، وقد تنزَّهَ الباري ﷻ عن الظُّلم؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وجَعلَه بين العباد مُحرَّماً، فقال: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ**

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الأول من شهر صَفَر، سنة تسع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً؛ فَلَا تَظَالَمُوا» (رواه مسلم).

الظُّلْمُ يَسلُبُ الحقوق، ويُفسدُ المجتمع، ويَقْهرُ الضَّعيف، ويَجْلِبُ الهموم، ويُهلِكُ الدِّيارَ، وتَنْهارُ به الأمم والبلدان، دعا أَوَّلُ الرُّسلِ نوحٌ عليه السلام على الظَّالمين فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا خَرج من المنزل استعاذ باللَّه منه بقوله: «بِسْمِ اللَّهِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَزِلَّ، أَوْ أَضِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» (رواه أحمد)، وأمَر أفرادَ أمَّتِه أن يَتعوَّذُوا باللَّه منه فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الفَقْرِ، وَالقِلَّةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَنْ تَظْلِمَ أَوْ تُظْلَمَ» (رواه النسائي)، ونَهَى المسلِمين أَنْ يَتَظَالَمُوا فقال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ» (رواه البخاري).

الظُّلْمُ لُؤْمٌ؛ إذ لا يُظلمُ إلَّا الضَّعيف، قال ابن الجوزيِّ رحمه الله: «المَعْصِيَةُ فِي الظُّلْمِ أَشَدُّ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ غَالِباً إِلَّا بِالضَّعِيفِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الِانْتِصَارِ»، وهو خُلُقٌ ذميمٌ يَمنعُ الرِّزقَ عن العباد: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾، والظُّلْمُ ولو في شيءٍ يسيرٍ تَعْظُمُ فيه العقوبة؛ قال ﷺ: «مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً؛ فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» (متفق عليه)، ولَئِنْ كان ظُلْمُ الهِرَّة يُدْخِلُ النَّارَ؛ فَظُلْمُ المُسلِم أَبْشَعُ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا؛ فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» (متفق عليه).

والأُمَمُ في مَأْمَنٍ من العذاب إذا آمَنَتْ ولم تَظْلِم؛ فإنْ ظَلَمَت

هَلَكَت: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾، وقد توعَّد اللَّهُ الظَّالِمَ وهدَّدَهُ بعذابٍ أليم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾، واللَّهُ لا يَهديه ولا يَنصرُه ولا يُحبُّه؛ قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

الظَّالِم مقطوعُ الدَّابرِ، لا يُخَلِّفُ ذِكْراً حسناً، وربُّك له بالمرصاد، وعاقبتُه إلى تَبَابٍ، وقد تكونُ عقوبتُه معجَّلةً - وإن لم يَدْعُ عليه المظلوم -، وعذابه كبيرٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ - مِنَ البَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**» (رواه الترمذي)، وقد يُمهلُه اللَّهُ فلا يُعاقبُه في الدُّنيا؛ استدراجاً له، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ؛ لَمْ يُفْلِتْهُ**» (متفق عليه)، ويومَ القيامة يَتضاعَفُ عليه ظُلْمُه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (متفق عليه)، ولا أنصارَ له ولا شُفَعَاء، ولا تُقْبلُ منه المعاذير، وَيَوُدُّ الافتداءَ بما في الأرض؛ بل ومثلُه معه للنَّجاة من العذاب: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ﴾، ولَئِنْ تولَّى ظالمٌ ظالماً في الدُّنيا؛ فمآلُهُما الافتراق والنِّزاع، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾، قال شيخ الإسلام ؒ: «مَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ عَلَى مَعْصِيَةٍ؛ إِلَّا تَنَازَعَا»، والظَّالِمُ لا يَهْنَأُ بِظُلمه؛ بل يُبتلى بمن هو أقوى منه ظُلْماً فيَقْهَرُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

واللَّهُ بقوَّته وقدرته يَنْتَصِرُ للمظلوم، وجَعل دعوتَه مستجابةً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ،**

وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» (رواه الترمذي)، قال الزَّبِيديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المَظْلُومُ إِذَا شَكَا إِلَى اللَّهِ؛ اقْتَضَى عَدْلُ اللَّهِ الإِيقَاعَ بِظَالِمِهِ»، ودعوتُه لا حجابَ دونها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**» (متفق عليه)، قال ابن عقيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُسْتَجَابُ لِلْمَظْلُومِ وَالمُضْطَرِّ بِسُرْعَةٍ».

ادَّعَتِ امْرأةٌ ظُلماً على سعيدِ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو أحدُ العشرةِ المُبشَّرين بالجنَّة - أنَّه أَخذ أرضها فقال: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً؛ فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا؛ فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا؛ إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ» (رواه مسلم).

وأصحابُ البُستان الَّذين قَصَّ اللَّه أمرهم في سورة القلم، لمَّا منعوا الفقراءَ حقَّهم؛ أهلك اللَّه زُرُوعَهُم: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾.

ومَن ظُلِم فَصَبر؛ زاده اللَّه عزّاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزّاً، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**» (رواه الترمذي)، واللَّهُ يُخاصِمُ عن المظلوم يومَ القيامة، ومَنْ خَصَمه اللَّه خُصِم؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**» (رواه البخاري)، ولا يَدخلُ المظلومُ الجنَّةَ حتى يُقتصَّ له ممَّن ظَلمه وتطيبَ

نفْسُهُ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا**» (رواه البخاري).

ومِن الظُّلْمِ: حِرْمانُ العَامِلِينَ حقوقَهم، أو إنقاصُها، أو المُمَاطَلةُ في دفْعِهَا، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**» (متفق عليه).

ومن الظُّلْمِ: الاعتداءُ على أملاك الآخرين أو سلبُها أو أذيَّتُهم فيها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً؛ فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**» (متفق عليه)، وأَكْلُ أموالِ اليَتَامَى ظُلماً من موجبات النَّار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾، وتقصيرُ الزَّوجةِ في حقوق زوجِها، وإنكارُها محاسنَه، والتَّشكِّي ممَّا لم يفعله؛ ظلمٌ منها له؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**» (متفق عليه)، وظُلمُ الزَّوجِ زوجتَه، أو تقصيرُه معها فيما أَوجبَ اللَّهُ لها من الحقوق؛ تعدٍّ عليها، وعدمُ العدلِ بين الزَّوجات، والميلُ إلى إحداهنَّ في القَسْمِ والنَّفقةِ ونحوِهما؛ حَيْفٌ مُتوَعَّدٌ عليه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا؛ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ**» (رواه أبو داود).

وتَفْضِيلُ الأولادِ بعضِهم على بعضٍ في الهِبَات وغيرِها، أو التَّقصيرُ في رعايتهم وتوجيهِهم ظلمٌ من الأب لهم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**» (متفق عليه)، ومن الظُّلم: منْعُ الأبِ ابنتَه من الزَّواج، أو تزويجُها من غير كُفْءٍ لها؛ طمعاً في مالٍ أو غيره.

وتقديمُ المعلِّم بعضَ طلابه على بعضٍ بغير حقٍّ؛ مَيلٌ عن العدل، قال شيخ الإسلام ﷺ: «وَحَدِيثُ: «**القُضَاةُ ثَلَاثَةٌ**» يَدْخُلُ فِيهِ مُعَلِّمُ الصِّبْيَانِ».

وأذيَّةُ المسلِمِ والإضرارُ به من أعظمِ العدوان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ: اسْتِطَالَةَ المَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ**» (رواه أبو داود).

والتَّصويرُ بأنواعه من ظُلْم العبد لنفْسِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقاً كَخَلْقِي؟! فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**» (متفق عليه).

وأعظم الظُّلْم: الشِّركُ باللَّه؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فمَنْ دَعَا غير اللَّه، أو نذَر أو طاف أو ذبَح لغير اللَّه، أو حَلَف بغير اللَّه؛ فهو ظالمٌ لنفْسه، واجبٌ عليه أن يتوب.

ومَن ظَلم غيره؛ فليتذكَّرْ قُدْرَة اللَّه عليه، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

واللَّهُ يَقْبَلُ توبةَ الظَّالِمِ إذا تاب وردَّ المَظالمَ إلى أهلها؛ قال سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾، قال ابن القيِّم ﷺ: «ظُلْمُ العِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً، وَاللَّهُ يَسْتَوْفِيهِ».

ومِنْ عَدلِ اللَّه: أنَّ الخلائقَ يُقتصُّ لهم ممَّن ظَلَمَهُم، حتى البهائمَ فيما بينها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى**

يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ - أَيِ: الَّتِي لَا قَرْنَ لَهَا - **مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ** - أَيِ: الَّتِي لَهَا قَرْنٌ -» (رواه مسلم).

وقد أمَر النَّبيُّ ﷺ أن يَتحلَّلَ الظَّالِمُ من المَظْلُومِ في الدُّنيا قبْلَ حسابِ الآخرة؛ فقال: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ؛ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**» (رواه البخاري).

وظُلمُ الشِّركِ لا يُغفرُ إلَّا بالتَّوحِيد، ويجبُ نصْرُ الظَّالمِ ببذل النَّصيحة له؛ لِيكُفَّ عن مظلمتِه؛ قال اللَّه لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، ومَنْعُ الظالمِ عن ظُلمه نصرٌ له؛ لئلَّا يَحيقَ به العذاب، قال عليه الصلاة والسلام: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُوماً، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِماً؟ قَالَ: **تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**» (رواه البخاري).

فاتَّقوا اللَّه، وكونُوا قَوَّامين بالقِسْط والعَدْل، واحذَروا الظُّلْم، وعظِّموا حرمات المسلِمين، وردُّوا المظالم إلى أهلها قبْلَ يومِ الحساب.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

أصلُ كلِّ خيرٍ: العِلمُ والعدل، وأصلُ كلِّ شرٍّ: الجهلُ والظُّلْم؛ وأعقلُ النَّاسِ مَنْ أنصفَ عقله مِن هواه، وممَّا يُعينُ على مُجانَبةِ الظُّلم: القَنَاعَةُ، ومراقبةُ اللَّهِ، وكثرةُ الدُّعاء، ومَنْ عَدَلَ ورَاقَبَ ربَّه وأطاعه؛ عاش آمناً مُطْمَئِناً، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

وإذا ابتَعد العبادُ عن الظُّلْم ولَجَؤُوا إلى اللَّه بالتَّوبة والدُّعاء؛ نالهم الخَصْبُ والعطاء.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

عُقُوبَةُ الظَّالِم(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتَقْوى اللَّهِ طريقُ الهدى، ومخالفتُها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

فضَّل اللَّهُ الإنسانَ وكَرَّمَهُ، وهَيَّأَ له أسبابَ الطُّمأنينة؛ ليعبدَه وحده سبحانه كما أمر، ومعاشُ النَّاسِ لا يستقيمُ إلَّا بالدِّين، وبه سعادتُهم في الآخرة، ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي**» (رواه مسلم).

وأساسُ الدِّين: العدلُ فيما بين العبادِ وبين خالقِهم بإفرادِ العبادةِ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثلاثين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

له، وبينهم وبين المخلوقينَ بعدمِ بَغْيِ بعضِهم على بعضٍ؛ إذ الظُّلمُ أصلُ كلِّ شرٍّ وفسادٍ للدِّين والدُّنيا، واللَّهُ نزَّه نفْسَه عن الظُّلمِ وجَعله بيْن العبادِ محرَّماً؛ فقال: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً؛ فَلَا تَظَالَمُوا**» (رواه مسلم)، وكان أبو إدريسَ الخَوْلَانِيُّ رحمه الله - راوي الحديث - إذا حدَّث بهذا الحديثِ جثَا على ركبتيه.

واللَّهُ أَخبر أنَّه لا يُحِبُّ الظَّالمَ، ونَفى عنه الفلاح، ووَعد بقطعِ دَابِرِه، ولا يدومُ على نصرتِه أحد؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾، بل يُسلِّطُ عليه ظالماً أقوى منه؛ قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «أَيْ: نُسَلِّطُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَنُهْلِكُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، وَنَنْتَقِمُ مِنْ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ؛ جَزَاءً عَلَى ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ».

وتوعَّده اللَّهُ بسوء المنقَلَب؛ فقال: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾، قال شُريح رحمه الله: «إِنَّ الظَّالِمَ يَنْتَظِرُ العِقَابَ، وَالمَظْلُومَ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ».

والظَّالمُ أيامُه في الدُّنيا معدودةٌ واللَّهُ يُمْهِلُه؛ قال جلَّ شأنه: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾، ومَنْ طالَ عدوانُه زال سلطانُه؛ قال جل وعلا: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَ أَعْدَاءَهُ وَيَمْحَقَهُمْ؛ قَيَّضَ لَهُمُ الأَسْبَابَ الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا هَلَاكَهُمْ وَمَحْقَهُمْ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا - بَعْدَ

كُفْرِهِمْ -: بَغْيُهُمْ وَطُغْيَانُهُمْ، وَمُبَالَغَتُهُمْ فِي أَذَى أَوْلِيَائِهِ وَمُحَارَبَتِهِمْ وَقِتَالِهِمْ وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمْ».

واللَّهُ ذَكَرَ في كِتابه ظالمين وذَكرَ سوءَ عاقبتِهم، وأَخبر أنَّه جَعلهم عبرةً لغيرهم؛ ففرعون طغى وعاث في الأرض فساداً، قال سبحانه عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ بل تَطاولَ على الرَّبِّ وأنكره وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وافتَخر بجريان الماء من تحت قدميه، وكان يقول: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ﴾، واللَّهُ له بالمرصاد يُمْهِلُه ولا يُهْمِلُه؛ فأَجرى الماءَ من فوقِه وأغرقَه به، وقال له ساعةَ هلاكِه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ﴾، وأَخبر بأنَّ تلاطُمَ أمواجِ البحرِ من فوقِه حين هلاكِه كان أمراً مهولاً؛ فقال: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾.

وشعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا قومَه إلى الإسلام ونهاهم عن ظُلْم الناس، وقال لهم: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ فسَخروا به وقالوا له: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾؛ فأَرسل اللَّهُ عليهم ناراً أَحرَقَتْهُم، وأَحرَقَتْ أموالَهم التي اكتسبوها بالظُّلم؛ قال سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ﴾ أي: النَّارِ المُحْرِقَةِ النَّازلةِ عليهم من السَّماء: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وثمودُ كان ذنْبُهم مع الشِّركِ: عَقْرَ بهيمةٍ جَعلها اللَّهُ لهم آيةً؛ فأَرسلَ عليهم صيحةً قطَّعَتْ قلوبَهم، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَنِ انْتَهَكَ مَحَارِمَ اللَّهِ، وَاسْتَخَفَّ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَعَقَرَ عِبَادَهُ، وَسَفَكَ دِمَاءَهَمْ؛ كَانَ أَشَدَّ عَذَاباً مِنْهُمْ».

وإذا وَقع بالمؤمنين شدةٌ وبلاءٌ وكَرْبٌ وعناء؛ فاللَّهُ لطيفٌ في قَدَرِه، حكيمٌ في تدبيره، قادرٌ على نصرة عباده؛ ولكن لحكمته يبتليهم؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾.

وهو سبحانه قويٌّ في مدافعته عن عباده؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَدْفَعُ عَنْ عِبَادِهِ - الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ - شَرَّ الأَشْرَارِ وَكَيْدَ الفُجَّارِ، وَيَحْفَظُهُمْ وَيَكْلَؤُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ»، وهذه المدافعةُ بحسب إيمان العبد بمولاه؛ فمَنْ زاد إيمانُه قَويتْ مدافعة اللَّه عنه؛ قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهِ! مَا يُضَيِّعُ اللَّهُ رَجُلاً قَطُّ حَفِظَ لَهُ دِينَهُ».

والمسلمُ يأخذ بأسبابِ النَّصرِ ودفعِ الظُّلم والقَهرِ بحسنِ الظَّنِّ باللَّه بأنَّ اللَّهَ سينصرُه، وباعتقادِ ما دلَّت عليه أسماؤه وصفاته - من القوَّةِ والقُدْرةِ والعَظَمَةِ والعِزَّة -، وبالإيمانِ بما جاءَ في القرآنِ مِن وَعْدِ اللَّه بنصرةِ المؤمنين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وبالإكثارِ من التَّعبُّدِ والاستغفارِ والإنابةِ إلى اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وبالثقةِ بقربِ ساعةِ الفرج: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾، وأنْ يوقنَ أنَّ التَّوكُّلَ على اللَّه أساسُ النَّصر: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

وتوحيدُ الكلمةِ على الحقِّ ونبذُ النِّزاع؛ قوةٌ على الأعداء؛ قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾، والصَّبرُ مفتاحُ الفرج، ويُتأكَّدُ عند حلولِ المِحَن والمصائب، والدُّعاءُ أقوى سلاحٍ ضدَّ العدوِّ؛ قال رسولُ اللَّه ﷺ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» (متفق عليه)، قال ابن عقيلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُسْتَجَابُ لِلْمَظْلُومِ بَسُرْعَةٍ».

والفَألُ هديُ نبيِّنا ﷺ؛ فقد قوتِل وحوصِر، وجُرِح وأوذي، ومُكِر به وكِيدَ به وأُخرِج، وسُمَّ وسُحِر، ومات له ستةٌ من أولاده، وكان يقول: «وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» (متفق عليه).

والمسلِمُ موقِنٌ بنصرِ اللَّه، ويَحْرُم عليه الرُّكون إلى الظَّالمين؛ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، واللَّهُ بقدرته ينصرُ الضَّعيفَ، ولو تَكالبتْ عليه الشَّدائدُ أو خُذِل؛ قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ونصرةُ اللَّه للمؤمنين إنما هي بالإيمانِ والتَّقوى، وهو سبحانه ناصرٌ عبادَه وإن قلَّ عددُهم وعتادُهم؛ فالقوَّةُ للَّهِ جميعاً؛ قال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾.

وهو سبحانه قد يَنْصُرُ عبادَه بلا قتالٍ - كما في الأحزاب -؛ قال ﷻ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾، وقد يَنصرُهم بإلقاءِ الرُّعب في قلوبِ

الأعداء - كما حصلَ ليهود بني النَّضير -؛ قال تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾، وقد يُرْسِلُ اللَّهُ جنوداً من عنده؛ لإهلاك المعتدين؛ فأبرهةُ أتى بجيشٍ من اليمنِ لهدم الكَعْبَةِ مُصْطَحِباً معه أقوى الحيوانات - الفيل -؛ فسلَّط اللَّهُ عليه أضعفَ الحيوانات - الطُّيور -، وجَعل كيدَهم في تضليلٍ.

وإذا حَصل قتلٌ وجراحٌ في المسلمين - كما في أُحُدٍ -؛ فالعاقبةُ لهم، قال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فلَئِنْ خُذِلَ المسلِمون فهم المنتصرون، ولئن قُوتِلُوا فهم الغالبون، ولئن شُرِّدُوا فهم المُؤَيَّدون، وما تَعلَّق أحدٌ باللَّه فخُذل، وما لجأ إليه أحدٌ إلَّا نُصر.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّاريخُ مليءٌ بالعِظَاتِ والعِبَر، زاخرٌ بالحوادثِ والقَصَص، وفي معرفة أحوال الأُمَم وعاقبة الظُّلم والظَّالمين؛ عبرةٌ لأُوْلي الألباب، والسَّعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره.

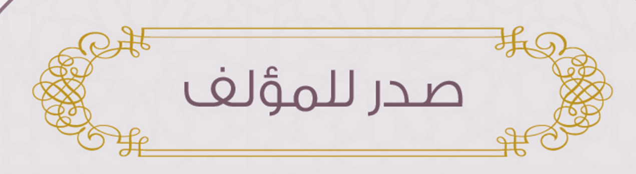
وسِيَرُ المسرفين وعاقبةُ الظَّالمين ومَآلَاتُ المُجْرِمين؛ عبرةٌ لِمَنْ عَرف اللَّهَ حقَّ المعرفة، وآمن بأنَّه على كلِّ شيءٍ قدير؛ قال ﷻ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

ونهايةُ كلِّ ظُلم - وإنْ طالت - آتيةٌ، والنَّصرُ مع الصَّبر، والفَرَجُ مع الكرب، والعُسْرُ يَعْقُبُه يُسر؛ قال سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

دار الدليقان للتوزيع
لطلب الكميات ٠٥٦٤٤٤٨٤٥٤



سلسلة من خطب المسجد النبوي















ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٠٥١٦-٩